علوم القرآن

المرحلة الأولى

ميثم العقيلي

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق محمد واله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

فإن الكلام في علوم القرآن بجميع مراحله الثلاثة يقع في مقدمة وأحد عشر علما وفصلا وهي إجمالا:

الأول: علم نزول القران.

الثاني: علم إعجاز القران.

الثالث: علم التفسير.

الرابع: علم آيات الأحكام.

الخامس: علم المكي والمدني.

السادس: علم أسباب النزول.

السابع: علم الناسخ والمنسوخ.

الثامن: علم المحكم والمتشابه.

التاسع: علم الرسم القرآني.

العاشر: علم القراءات.

الحادي عشر: علم تلاوة القرآن.

مقدمة

وفيها جهات ثلاثة:

الجهة الأولى: تعريف القرآن:

وفيه معنيان:

الأول: اللغوي, وفيه معان ثلاثة:

1- المقروء والمكتوب.

2- المجموع والمتفرق.

3– اسم لكتاب الله تعالى.

الثاني: الاصـــطلاح القرآني: هو كلام الله المنزل بوحي منه على رســـوله محمد صـــلى الله عليه وآله وسلم المكتوب في المصحف إلى المرسل اليه من الجن والإنس.

فهنا قيود خمسة:

1– كلام الله المرسل: أي الكلام المنسوب للذات المقدسة المرسلة بالبناء للفاعل فخرج بهذا القيد كلام غير الله تعالى من مخلوقاته كالملائكة والجن والإنس.

2– المنزل: اي المنزل من جهة إلهية عليا وهي الذات المقدســـة فخرج بهذا القيد ما نزل من جهة دانية.

3– بوحي منه: أي وحي من الله تعالى فخرج بهذا القيد الوحي النفســـي المنســـوب الى كلام النبي عليه واله السلام.

4– على رسوله: اي الكلام الإلهي المنزل على الرسول محمد صلى الله عليه وآله فخرج بهذا القيد ما نزل من كتب سماوية على غير الرسول كالزبور والتوراة والإنجيل.

5– المكتوب في المصحف: أي الكلام المدون والمخطوط في المصحف فخرج بهذا القيد الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية والآيات التي نسخت تلاوتها فلم تعد مكتوبة في المصحف.

الجهة الثانية: تعريف علوم القرآن:

علوم القران هو العلم الذي يبحث فيه عن مجموعة من العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم من اعتبارات كثيرة وفي كل اعتبار من تلك الاعتبارات يعتبر القرآن موضـــوعا لعلم خاص. كما ان هذا العلم الخاص مندرج تحت علم عام وهو علوم القران.

فأول علوم القرآن تدوينا في القرن الثاني الهجري هو علم التفسير بحسب ما يأتي وأما علوم القرآن الأخرى فجاءت في القرن الثالث وما تلاه ومنها:

– كتاب أسباب النزول, ومؤلفه علي بن المديني شيخ البخاري.

– كتاب الناسخ والمنسوخ, ومؤلفه أبو عبيد القاسم بن سلام.

– رسالة المحكم والمتشابه, ومؤلفه السيد علم الهدى المرتضى.

– كتاب غريب القران, ومؤلفه أبو بكر السجستاني.

– كتاب التبيان في إعراب القرآن, ومؤلفه أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري.

– كتاب مبهمات القرآن, ومؤلفه أبو القاسم عبد الرحمن المعروف بالسبيلي.

– كتاب مجاز القرآن, ومؤلفه ابن عبد السلام.

– كتاب القراءات, ومؤلفه علم الدين السخاوي.

واما من حيث الاصطلاح بـ(علوم القرآن) فقد ظهر في القرن الثامن:

– البرهان في علوم القرآن, ومؤلفه بدر الدين الزركشي.

– الإتقان في علوم القرآن, ومؤلفة السيوطي.

– التبيان في علوم القرآن, ومؤلفه الشيخ طاهر الجزائري.

– منهج الفرقان في علوم القرآن, ومؤلفه الشيخ محمود أبو دقيقة.

الجهة الثالثة: أسماء القرآن:

وردت مجموعة من التسميات القرآنية لكلام الله تعالى ومنها تسميات ثلاثة عشر:

1– القرآن: أي أن كلام الله تعالى مقروء ومجموع فيه كلام الله تعالى, ومنه قوله تعالى:

– (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) [1].

–(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) [2].

2– الفرقان: أي أن القرآن فيه دور في التفريق بين الهدى والضلال, وبين الحق والباطل. ومنه

– قوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) [3].

3– الكتاب: أي أن القرآن صحيفة مجموعة تضبط فيها طائفة من المعاني عن طريق الكتابة اللفظية. ومنه قوله تعالى:

4– الذكر: أي أن القرآن ذكرا منزلا على النبي عليه وآله السلام الذي قد نال أقصى مراتب الشرف بتبليغه هذا الذكر القرآني الكريم. ومنه:

5– التنزيل: أي أن كلام الله تعالى منزل من جهته العالية الى جهة نازلة, ومنه:

–قوله تعالى: (وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا).

6– الكلام: أي أن كلام الله تعالى فيه كلام موضوع لفوائد كثيرة وكبيرة. ومنه:

– قوله تعالى: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ) [4].

---

[1] الإسراء 106.
[2] البقرة 2.
[3] الفرقان 1.
[4] البقرة 75.

7– الهدى: تسمية كلام الله تعالى بـ(الهدى) إشارة إلى كون القرآن هادياً إلى الحق والرشاد. ومنه: – قوله تعالى: (هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى) [5].

– قوله تعالى: (ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآَيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ) [6].

8– الشفاء: أي أن كلام الله تعالى فيه علاج لأمراض القلوب والأجسام. ومنه:

– قوله تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) [7].

9– القصص: أي أن كلام الله تعالى قد وردت فيه حكايات وقصص الأمم الغابرة. ومنه:

– قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) [8].

10– الحكيم: أي أن كلام الله تعالى قد أحكمت آياته بعجيب النظم وبديع المعاني بنحو ان لا يتطرق اليها التبديل أو التحريف. ومنه:

– قوله تعالى: (ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآَيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ) [9].

11– الحكمة: أي أن كلام الله تعالى قد وضع كل شيء في محله المناسب فيما فصل من حلال وحرام وما شرع من أمر ونهي. ومنه:

– قوله تعالى: (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [10].

12– الحبل: أي أن القرآن سبب للوصول الى الهدى والجنة ورضوان الله تعالى. ومنه:

– قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ) [11].

13– الصراط المستقيم: أي أن كلام الله تعالى طريق قويم إلى الله تعالى لا عوج فيه ولا دوران. ومنه:

– قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [12].

ثم أن الأشهر من هذه التسميات الخمسة الأُول – القرآن, الفرقان, الكتاب, الذكر, التنزيل – وقد تجاوز بعض المفسرين حدود التسمية فبلغ بعدتها نيفا وتسعين اسما ولكن هناك فرق فارق بين ما جاء على مستوى الاسم وبين ما جاء على مستوى الوصف, ومثاله وصفان:

1– كريم, ومنه:

– قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ).

فـ(كريم) وصف لـ(قرآن).

---

[5] البقرة 185.
[6] آل عمران 58.
[7] الإسراء 82.
[8] آل عمران 62.
[9] آل عمران 58.
[10] آل عمران 48.
[11] آل عمران 103.
[12] الفاتحة 6.

2- مبارك, ومنه:

- قوله تعالى: (وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ).

فـ(مبارك) وصف لـ(ذكر).

الفصل الأول

علم النزول

وفيه جهات ثلاثة:

الجهة الأولى: تعريف علم النزول:

هو العلم الذي يتكفل البحث في إثبات نزول النص القرآني عن طريق الوحي الإلهي. فهنا قيدان

القيد الأول: النزول, وفيه معنيان:

1- اللغوي: النزول: وهو الورود على المحل من علو, سواء كان العلو مكانيا جسميا, فيقال علا الطائر فيما إذا ارتفع عن مستوى سطح الأرض. أم كان العلو شأنيا, فيقال علا الطالب فيما اذا ارتفع مستواه العلمي والأخلاقي.

2- الإصلاحي: وهو الاعلام بأن الله تعالى وهو الجهة العليا في النزول قد انزل على رسوله عن طريق وحيه كلاما ذا ألفاظ ومعان وأسلوب ليبلغ به المرسل اليه وهو الجن والإنس.

القيد الثاني: الوحي, وفيه معنيان:

1- اللغوي: وهو الإعلام الخفي.

2- الاصطلاحي: وهو الطريقة الخاصة التي يتصل بها الله تعالى وهو المرسل بالرسول من اجل إعلامه ألوان الهداية والعلم والخير والصلاح الى الجن والإنس وهم المرسل اليه. فوجدت طرق ثلاثة لبيان الكيفية التي يتصل بها المرسل مع الرسول وهي التي أشار اليها الله تعالى بقوله: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)[13]**:**

1- إلقاء المعنى في قلب الرسول عن طريق الوحي الإلهي, كما في قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى).

[13] الشورى 51.

2– تكليم الرسول من وراء حجاب, ومنه تكليم النبي موسى عليه السلام من وراء الشجرة, كما قال تعالى: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [14].

3– إلقاء ملك مرسل من قبل الله تعالى للرسول, وهذه هي الطريقة المنصرفة من قبل الوحي حين يلقي ملك الوحي المرسل من الله الى الرسول ولكن لها كيفيات وأنواع ثلاثة:

– أن ينزل الملك في صورته الملكوتية, كما في حادثة الإسراء والمعراج.

– أن ينزل الملك بصورته الإنسانية, كما في شخصية (دحية الكلبي). كما في قوله عليه واله السلام في جواب من سأله عن كيفية إتيان الوحي اليه: (وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول).

– أن ينزل الملك بصورته الروحية فيسمع الرسول رنين الجرس فيثقل جسمه, ويتصبب جبينه عرقا, ويزاد وجهه احمرارا. كما في قوله عليه واله السلام في جواب من سأله ن كيفية إتيان الوحي اليه: (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال). ولكن يمكن حمل هذا النوع من الاتصال على عدم توسط الملك وانما يكون استماع النبي الى خطاب الله من دون واسطة مترجم كما ورد في قول الامام الصادق عليه السلام عندما سئل عن الغشية التي كانت تأخذ النبي أكانت عند هبوط جبرئيل فقال: لا, وإنما ذلك عند مخاطبة الله عز وجل اياه بغير ترجمان وواسطة.

ثم إن العلم بنزول القرآن يعتبر أساسا وأصلا للإيمان بالقرآن أولا وأنه كلام الله تعالى ووحيه المنزل, وأساس للتصديق بنبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأن الإسلام حق. كما أن العلم بنزول القرآن بهذا المعنى يعتبر أساسا وأصلا لسائر علوم القرآن الأخرى المبحوث عنها في هذا العلم.

الجهة الثانية: كيفية النزول:

كيفية نزول القرآن الكريم هي الطريقة والمنهجية التي نزل بها القران الكريم من الله تعالى عن طريق وحيه الى رسول الله محمد عليه واله السلام فوجدت طريقتان للنزول:

1– النزول الدفعي الإجمالي: وهي نزول المعارف والأسرار الإلهية الكبرى المودعة في القرآن الكريم من قبل الله تعالى على قلب النبي عليه وآله السلام دفعة واحدة بنحو الإجمال من أجل إعداده لممارسة عملية التبليغ بالرسالة السماوية الخاتمة.

---

[14] القصص 30.

2– التنزيل التدريجي التفصيلي: وهي نزول الألفاظ والمعاني والأسلوب الاعجازي المودعة في القرآن الكريم من قبل الله تعالى على قلب النبي عليه وآله السلام دفعات متعددة بنحو التدريج والتفصيل طيلة مدة البعثة النبوية من أجل إعداد الأمة لتقبل الرسالة السماوية الخاتمة.

وهاتان الطريقتان – الدفعي والتدريجي – تفسر لنا مجموعة من ظواهر بعض الآيات القرآنية الدالة على وجود تقسيمات أخرى لنزول القرآن ومنها تقسيمان:

الأول: اعتبار زمن نزول القرآن:

1– نزول القرآن في شهر رمضان, وهو النزول الدفعي الإجمالي نحو قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ). وهو معنى النزول الدفعي الإجمالي.

2– إنزال القرآن في ليلة مباركة أو القدر, نحو قوله تعالى:

– (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ).

– (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ).

وهو معنى النزول التدريجي التفصيلي.

الثاني: اعتبار الإحكام والتفصيل, وفيه قسمان:

1– إحكام الآيات, نحو قوله تعالى: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آَيَاتُهُ). وهو معنى النزول الدفعي الإجمالي.

1– تفصيل الآيات, نحو قوله تعالى: (ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ). وهو معنى النزول التدريجي التفصيلي.

الجهة الثالثة: مدة النزول:

إن هناك خلاف في مدة نزول القران تبعا للخلاف في مدة إقامته في مكة بعد البعثة على أقوال ثلاثة:

1– عشر سنين.

2– ثلاث عشرة سنة.

3– خمس عشرة سنة.

أما مدة إقامته عليه وآله السلام بالمدينة فهي عشر سنين اتفاقا. كما أن الطرق والكيفيات في نزول وتنزل القران الكريم المتقدمة من المقطوع به منها هو النزول التدريجي التفصـــيلي طيلة مدة البعثة النبوية على خلاف نزول الكتب السـماوية السـابقة التي كانت تنزل على أنبيائها دفعة واحدة بنحو الإجمال, فانه لا خلاف في انه في هذه المدة ان النبي عليه واله الســـلام كان يبلغ القران الى الأمة دفعات متعددة بحســـب تعدد الحوادث والوقائع والأســـباب الداعية للنزول, ويدل على ذلك قوله تعالى:

– (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً).

– (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً).

فان الله تعالى لم يكذبهم فيما ادعوا من نزول الكتب السـماوية دفعة اجمالية بل أجابهم ببيان الحكمة في نزول القرآن دفعات تدريجية فلو كان نزول الكتب الســماوية دفعات تدريجية كالقرآن لرد عليهم بالتكذيب وبإعلان أن التنجيم هو ســـنة الله تعالى فيما أنزل على الأنبياء من قبل كما رد عليهم بقوله:

– (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ).

حين طعنوا على الرسول وقالوا:

– (مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ).

الفصل الثاني

علم إعجاز القران

وفيه جهات ثلاثة:

الجهة الأولى: معنى إعجاز القران:

الإعجاز فيه معنيان:

الأول: اللغوي: وهو الفوت, وإضـافة الإعجاز إلى القران من إضـافة المصـدر لفاعله والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به والتقدير إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به.

والثاني: الاصطلاح القرآني, وفيه معنيان:

1– أمر يعجز البشر عن الإتيان بمثله سواء كان البشر متفرقين ام كان البشر مجتمعين.

2– أن يأتي مدعي النبوة أو الرسـالة الإلهية وهو الرسـول بالمعجزة بحيث تكون المعجزة شـاهداً على صدق دعوى الرسول من قبل المرسل وهو الله تعالى الى المرسل اليه وهم الناس.

من هنا عرفنا علم إعجاز القران بأنه العلم الذي يتكفل البحث في أن القران الكريم وحي الهي معجز لازمه تصديق المرسل اليه بما جاء به الرسول من عند المرسل. فهنا قيود خمسة:

1– وحي الهي: وهو إعلام خفي من قبل الله تعالى الى الرسول بتفصيل تقدم.

2– معجز: وهو أمر خارق للعادة الطبيعية بحيث يعجز عن الآتيان به الغير.

3– المرسل اليه: وهم الجنس والإنس المكلفون بالعبادة والرسالة الإلهية.

4– الرسول: وهو الشخص المكلف من قبل الله تعالى بتبليغ الرسالة الإلهية.

5– المرسل: وهو الله تعالى.

الجهة الثانية: وجوه الإعجاز القرآني:

هناك مجموعة من الوجوه الدالة على الإعجاز القرآني وان هذا القران وحي منزل معجز من الله تعالى وليس كلام نبينا محمد عليه واله السلام, ومن هذه الوجوه:

1 – النظم البديع والأسلوب العجيب المخالف لجميع النظم والأساليب المعهودة عند العرب الفصحاء وعلماء العربية البلغاء. ومنه قوله تعالى:

– (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).

– (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ).

– (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ * وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ).

2– الوفاء بالوعود الإلهية الصادقة المدركة بالحسن والعيان, كما في مثل وعد المؤمنين بالنصر والفتح المبين ووعيد الكافرين بالخسارة والوبال الأليم, ومنه قوله تعالى:

– (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ).

– (غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ).

– (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا).

3– الإخبار عن الحوادث الماضية والمغيبات المستقبلية التي لا يطلع عليها إلا بالوحي الإلهي ويعجز عنه البشر, ومنه قوله تعالى:

– (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ).

– (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا).

– (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) .

4– السعة والشمول والاستيعاب لجميع انحاء الحياة المختلفة ووجوهها المتباينة بحيث استطاع هذا الكتاب الاحاطة بكل شيء, ومنه قوله تعالى:

–(مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ).

– (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ).

– (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا).

5– عجز الرسول عن الإتيان ببدل عن القران كونه ليس كلامه وإنما كلام الله تعالى.

6– تغير المظهر الخارجي للرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند هبوط الوحي عليه في بادئ الأمر, ومثاله:

– جسمه يثقل بحيث يحس ثقله من بجواره.

– وجهه يحمر.

– جبينه يتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد.

الى ان انزل سبحانه قوله: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) وبهذا ازداد اطمئنان الرسول بأن الله قد تكفل له بأن يجمع القرآن في صدره وأن يقرأه على الناس كاملا.

7– مضي الزمان الطويل على حوادث كان يتمناها الرسول ان تحصل ولكن لم تحصل الا بعد صدور الإذن الإلهي, ومنها:

– تحويل القبلة من المسجد الأقصى بفلسطين الى المسجد الحرام بمكة, كما قال تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ).

– الصلاة على كبير المنافقين عبد الله بن أبي عندما مات فقال تعالى: (وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) فترك الرسول الصلاة على المنافقين.

8– الاخبار والانباء على الظواهر الطبيعية والمادية وتفسيرها تفسيرا علميا دقيقا بنحو يعجز عنه المختصون, بل فاق ذلك بالانباء عن حوادث ما وراء الطبيعة والمادة بنحو من المعاجز والكرامات, ومنه قوله تعالى:

– (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

– (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ).

– (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ).

الفصل الثالث

علم التفسير

وفيه جهتان:

الجهة الأولى: تعريف التفسير:

التفسير فيه معنيان:

الأول: اللغوي, وفيه معان أربعة:

1– البيان والكشف التفصيلي, كما قال سبحانه : [وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً] أي بياناً وكشفاً تفصيلاً[15].

2– رفع القناع وكشف المستور, لأن القناع لغةً ما يغطي به الرأس، فقنع، أي: لبس القناع ساتراً لفقره كقولهم: خفي، أي: لبس الخفاء، وقنع: إذا رفع قناعه كاشفاً رأسه بالسؤال نحو خفى إذا رفع الخفاء، ومن القناعة قولهم: رجل مقنع يقنع به، وجمعه: مقانع.

3– كشف معنى اللفظ وإظهار معناه الموضوع له.

4– كشف المراد عن المشكل.

ثم إن هذه المعاني الأربعة تستبطن أمرين متلازمين:

الأول: الكشف عن الأشياء المشكلة والغامضة والمبهمة.

---

(15) الفرقان:33.

الثاني: محاولة بذل الجهد والاجتهاد في إزالة ورفع هذا الإشكال والغموض والإبهام.

وعلم التفسير يدور مدار هذين الأمرين مع ضميمة أمرية العجز عن كشف جميع الأشياء المشكلة والغامضة والمبهمة التي تعتلي ظواهر الآيات القرآنية ضرورة أنه لا يستطيع أحد أن يدعي العلم القطعي بمعاني القرآن الكريم إلا من رزقه الله تعالى العصمة عن الزلل وهم الأولياء الصالحون والمطهرون من أهل البيت Γ, وأما ما عداهم فهم يطرحون فهمهم أو تفسيرهم بنحو الاحتمال المخفوف ببعض القرائن الظاهرة أو الفروض المؤدية للكشف عما خفي وانبهم امره عن هذه الآيات الكريمات.

المعنى الثاني: التفسير الاصطلاحي: وهو العلم الذي يعرف به كتاب الله سبحانه وتعالى وبيان معانية واستخراج أحكامه وتشريعاته ومعارفه بالمقدار الممكن فيما لو بدا من معانيه ما كان مشكلاً وغامضاً ومبهماً بسبب التعقيدات اللغوية والبلاغية والأدبية والمعنوية التي لا يعلم تفسيرها أو تأويلها إلا الله سبحانه والراسخون في العلم من أهل البيت .

الجهة الثانية: المناهج التفسيرية:

على الرغم من وضوح معنى التفسير نجد هناك خلافاً في المنهج التفسيري المتبع عند المفسرين منذ الصدر الأول في عصر الصحابة والتابعين إلى زماننا المعاصر نتيجة اختلاف أنظارهم واجتهاداتهم بالمقدار الذي يفهمونه من كتاب الله العزيز المجيد فوجدت مجموعة من المناهج والاسس المتبعة في علم التفسير ومنها:

1- التفسير العقلي: وهو التفسير الذي يعتمد على استعمال العقل كوسيلة للكشف عن مدلولات الآيات القرآنية. ومثاله:

- قانون العلية, ومنه يتعرف على المسائل الاعتقادية من خلال الآيات الواردة فيها. كما في مسألة التوحيد في قوله تعالى: [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد]. وقوله عز وجل: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيء]. وقوله عز شأنه: [وَهُوَ الواحِدُ القَهّار].

2- التفسير النقلي: وهو التفسير الذي يعتمد على استعمال السنة المنقولة كوسيلة للكشف عن مدلولات الآيات القرآنية. ومثاله:

- عن تفسير نور الثقلين نقلاً عن الشيخ المفيد في الإرشاد: أن عمر أُتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهمَّ برجمها, فقال له أمير المؤمنين : [إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول: (وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهراً). ويقول: (وَالوالِداتُ يُرضِعنَ أولادَهُنَّ حَولَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَن أراد

أن يُتِمَّ الرّضاعَة). فإذا تم، أتمّت المرأة الرضاع لسنتين، وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً كان الحمل منها ستة أشهر]، فخلى عمر سبيل المرأة.

3- التفسير الباطني: وهو التفسير الذي يعتمد على استعمال باطن القرآن دون ظاهره كوسيلة للكشف عن مدلولات الآيات القرآنية. ومثاله:

-قوله تعالى ذكره: [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ].

أي أن مثل آدم مثل الولاية التي افترضها الله تعالى لمجموعة من الناس وأمرهم أن بطاعتهم ومحبتهم.

4- التفسير الأدبي: وهو التفسير الذي يعتمد على استعمال العلوم الأدبية كالنحو والصرف والبلاغة والأشعار العربية والنثرية كوسيلة للكشف عن مدلولات الآيات القرآنية. ومثاله:

- قوله تعالى: [الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ].

فهنا نحتاج إلى ضبط قراءتها حيث أجمع القراء على ضم الدال من (الحمد) وكسر اللام الأولى من (لله). وأما معانيها فالحمد معناه الشكر والشكر معناه الاعتراف بالنعمة والألف واللام لاستغراق شكر جميع النعم الإلهية. وأما الرب فمعناه السيد المطاع, أو المالك المربي لجميع العوالم التي خلقها وأبدعها. وأما الإعراب فالحمد مرفوع بالابتداء وخبره شبه الجملة من الجار والمجرور (لله), ورب العالمين إما عطف بيان أو توكيد من لفظ الجلالة, ولفظ الرب مضاف والمضاف إليه لفظ العالمين.

5- التفسير التاريخي: وهو التفسير الذي يعتمد على استعمال نقل الحوادث والقصص التاريخية كوسيلة للكشف عن مدلولات الآيات القرآنية. ومثاله:

- قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى).

وهي قصة أصحاب الكهف.

6- التفسير الاجتماعي: وهو التفسير الذي يعتمد على استعمال النظم الاجتماعية كوسيلة للكشف عن مدلولات الآيات القرآنية من أجل إيجاد الحلول للمشكلات الاجتماعية السائدة على الحياة على ضوء التعاليم والمعارف الإلهية. ومثاله:

- قوله تعالى: [وَتَواصَوا بِالصَّبْرْ].

أي بمعنى الالتزام بالصبر بما له من مواطن للقوة الباعثة على تحمل المشقة والتعب في سبيل الحق, فالأمة الصابرة هي الأمة القوية بينما الأمة التي فقدت ميزة الصبر تصبح من الأمم الضعيفة وهكذا أفرادها فالإنسان الصابر والأسرة الصابرة والمجتمع الصابر كل أولئك يوصفون بالقوة والمنعة, بينما الإنسان والأسرة التي يضعف فيها الصبر تكون ضعيفة وغير مستقرة.

7– التفسير العلمي: وهو التفسير الذي يعتمد على استعمال النظريات والمبرهنات العلمية المودعة في العلوم الطبيعية كوسيلة للكشف عن مدلولات الآيات القرآنية. ومثاله:

– قوله جل جلاله: [أَوَ لَمْ يَر الَّذين كَفَرُوا انّ السَّـــماوات وَالأَرْض كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِكُلّ شَيء حَيّ أَفلا يُؤمِنُون].

فقد فسر القوم رتق السموات والأرض بكونهما كانتا ملتصقتين ففصلها رب العزة والجلال بالهواء تارة, وأخرى بأن الســـموات كانت لا تمطر ففتقها بالمطر والأرض كانت لا تنبت ففتقها بخروج النبات. وثالثة بكونهما كانتا مظلمتين ففتقها بالضياء والنور. وأما التفسير العلمي فيقوم على أساس ما وصل إليه العلم الحديث من فصل السموات والأرض بأنواع العناصر الكيمياوية والغازية.

8– التفســير الفقهي: هو العلم الذي يتكفل البحث في اســتنباط الأحكام الشــرعية من الآيات القرآنية الدالة على الأحكام الشرعية, ومثاله:

– قوله تعالى: (ومَا تَتْلُواْ الشَّــيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُــلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُــلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّــيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ).

فقد استدل بهذه الآية على تحريم السحر.

الفصل الرابع

علم آيات الأحكام

وفيه جهات ثلاثة:

الجهة الأولى: تعريف علم آيات الأحكام:

هو العلم الذي يتكفل البحث في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات والسور القرآنية الدالة على الأحكام الشرعية. وقد يسمى بأحد تسميتين:

– فقه القرآن.

– أحكام القرآن.

وهو نفس التفســـير الفقهي للقرآن الكريم المتقدم من حيث البحث في أحكام الطهارة والصـــلاة والصيام وغيرها من الأبواب المبحوث عنها في الفقه مع ضم سائر الأدلة التي قد يحتاجها الفقيه في عملية استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها الإجمالية والتفصيلية على تفصيل موكول في علمي الفقه والأصـول. وأول كتاب في هذا المجال هو كتاب (أحكام القرآن) تأليف (محمد بن صـاحب الكلبي) رواه عن ابن عباس، وهو من أصـــحاب الإمامين الباقر والصـــادق عليهما الســـلام والمتوفي ســـنة

(146) هـ فهو سابق على الشافعي المتوفي سنة (204) هـ الذي قال فيه السيوطي بأنه أول من ألف في هذا العلم. ثم افرد مقاتل بن سليمان آيات الأحكام في تصنيف وجعلها (500) آية. وقد أحصى المحدث الطهراني في كتاب (الذريعة) ثلاثين كتاباً من كتب الشيعة في هذا العلم الدال على اهتمام المسلمين عموما والشيعة الامامية خصوصا بعلوم القرآن الكريم وفهم معانيه وحدوده وتشريعاته وأحكامه.

الجهة الثانية: مناهج آيات الأحكام:

إن هناك منهجين متبعين في البحث في علم آيات الأحكام الشرعية:

1- ترتيب آيات الأحكام الشرعية بحسب ترتيب السور الواردة في القرآن الكريم التي تبدأ بسورة الفاتحة وتنتهي بسورة الناس, وقد وردت أغلب كتب هذا المنهج بعنوان (آيات الأحكام), وأمثلته:

- كتاب (آيات الأحكام), لابن سعيد وابنه ابن المتوج البحراني من تلامذة فخر المحقين ابن العلامة.

- كتاب الجصاص المعروف بـ(أحكام القرآن).

- كتاب (نيل المرام شرح آيات الأحكام) لفهد عبد الله.

2- ترتيب آيات الأحكام الشرعية بحسب ترتيب الكتب الفقهية المعهودة عند الفقهاء التي تبدأ بكتاب الطهارة وتنتهي بكتاب الحدود والديات, وأمثلته:

- كتاب (زبدة البيان) للأردبيلي.

- كتاب (كنز العرفان في فقه القرآن) للفاضل المقداد السيوري.

- كتاب (مسالك الإفهام) للفاضل الجواد الكاظمي.

- كتاب (قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر) للجزائري.

- كتاب (فقه القرآن) لهبة الله الراوندي.

- كتاب (تفسير آيات الأحكام في القرآن) للشيخ باقر الإيرواني.

الجهة الثالثة: تطبيقات:

يمكننا التعرض في هذه الجهة لتطبيق عملي في آية من آيات الأحكام من خلال القيام ببعض الخطوات ومنها ثلاثة:

1- أن نستعرض مجموعة من الفقرات المساعدة في فهم معنى الآية باعتبار ما هو المستفاد من مفرداتها وسياقها اللغوي ومعانيها التي تتألف منها وما يرتبط بها من مدلولات ودلالات تكشف عن المعنى الإجمالي المراد.

2- أن نستعرض مجموعة من روايات التفسير التي تكفلت الجانب التفسيري للآية, ثم تسجيل بعض الإيضاحات على كل رواية أو المداخلات التي من شأنها التوسعة والإحاطة أو المناقشات لرفع بعض التنافي الواقع في فهم هذه الروايات.

3- أن نستعرض بعض الأحكام الشرعية التي يمكن أن تستنبط من الآية من خلال تقسيم الحكم الواحد منها أو الأحكام المتعددة إلى جهات أو مقامات متعددة بحسب ما يقتضيه مقام بيان الآية.

والآية المختارة في المقام هي قوله تعالى:
- (ومَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ) (16).

وفيها مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: معنى الآية:

وفيها فقرات أربعة:

1- قوله تعالى: [ومَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ]: الواو عاطفة على ما قبلها من آية وهي قوله سبحانه: [وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ] أي أن أهل الكتاب من اليهود, سواء كانوا في زمان نبي الله سليمان أم في زمان نبينا محمد عندما جاءهم الرسول تركوا كتاب الله وهو التوراة المنزل على كليم الله تعالى

---

(16) البقرة:102.

موسى واتبعوا كتب السحرة التي كانت تتلوها شياطن الجن والإنس في عهد نبي الله سليمان تكذيباً منهم لأنبياء الله تعالى ذكره وإتباعاً لأهوائهم الضالة والمظلة.

2- قوله تعالى: [وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ]: هذا رد على زعمهم بأن هذا النبي كان يستعمل ويمارس السحر وإنما كان سبب ملكه هو تسلحه بالسحر وتأثيره على الموجودات فنفى الله سبحانه عنه استعماله ومزاولته السحر ونسبه إلى شياطين الإنس والجن من اليهود الذين كفروا بممارستهم العملية السحر بتعلمه وتعليمه للناس من أجل غوايتهم وضلالهم فكان كفرهم هذا كفراً عملياً بمعنى الخروج عن تعاليم الله سبحانه ونفي القدرة عنه والتمسك بقدرة غيره من المؤثرات الفانية والزائلة.

3- قوله تعالى: [وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ]: وهما رجلان صالحان أرسلهما الله سبحانه في أرض بابل على نبي ذلك الزمان عندما ابتلوا في السحر فكان من واجبهما تعليم الناس إبطال السحر ونهاهم أن يسحروا الناس به وكانا يقولان للمتعلمين إنما نحن فتنة واختبار وامتحان للعباد فإياكم أن تكفروا بتعليمكم هذا السحر فتجعلوا منه وسيلة لإشاعة الفاحشة والبغضاء والفساد.

4- قوله تعالى: [فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ]: هذا جواب وتفريع مما تقدم من حيث أن الناس الذين تعلموا السحر من هذين الرجلين عاثوا في الأرض الفساد كما هو ديدين الغاوين والمضلين بغير هدى ولا رشاد إتباعاً لأنفسهم الأمارة بالسوء وطاعةً لوساوس الشياطين من الإنس والجن, ومع ذلك فإن هؤلاء الغاوين يعلمون أن ما يفعلونه من هذه الأفعال المشينة والبشعة ليس لهم بها في الآخرة أي نصيب أو أجر ولبئس ما فعلوا بأنفسهم اذ استبدلوا الخير من تعليم هذين الرجلين بالشر بأفعالهم الضارة والمضرة.

المبحث الثاني: روايات التفسير:

وفيه روايتان:

الرواية الأولى: عن أبي بصير عن أبي جعفر قال: [لما هلك سليمان وضع ابليس السحر، ثم كتبه في كتاب فطواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا من ملك سليمان بن داود عليهما السلام من ذخاير كنوز العلم، من أراد كذا وكذا فليقل كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم استشاره لهم فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان الا بهذا، وقال المؤمنون: وهو عبد الله ونبيه فقال الله في كتابه: " واتبعوا ما تتلوا الشياطين علي ملك سليمان "].

فإن ظاهر هذه الرواية ينافي ما استظهرناه من معنى (تتلوا الشياطين) من حيث أن إبليس هو الذي قام بتعليم الناس السحر والحال أننا قلنا شياطين الجن والإنس معاً وجوابه: أن شياطين الجن والإنس من أتباع الشيطان الرجيم وتلامذته فهو رئيسهم وقائدهم في الشيطنة والغواية فاسناد الغواية اليه من قبيل الاسناد الى الفاعل الحقيقي وهذا مطرد في العرف والشرع.

الرواية الثانية: في الدر المنثور، أخرج ابن جرير عن ابن عباس، قال: كان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئاً من شأنه أعطى الجرادة وهي امرأته خاتمه فلما أراد الله أن يبتلي سليمان بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذلك اليوم خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي فأخذه ولبسه فلما لبسه دانت له شياطين الجن والإنس فجاءها سليمان فقال: [هاتي خاتمي] فقالت كذبت لست سليمان فعرف أنه بلاء ابتلي به فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفر ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها فقرءوها على الناس فقالوا إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب فبرىء الناس من سليمان وأكفروه حتى بعث الله محمداً وأنزل عليه: " وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ".

فان هذه الرواية أسندت أن ملك سليمان في خاتمه وقد خطفه الشيطان منه وهذا الإسناد من دسائس اليهود وخداعهم وخبثهم وضغينتهم على سائر الأديان عموماً وعلى الدين الإسلامي بوجه خاص, والغرض من هذه الروايات وغيرها من الروايات الاسرائيليات المدسوسة بواسطة اليهود الطعن بعصمة الأنبياء والتقليل من شأنهم حاشاهم الله سبحانه الذي عصمهم من الخطأ والزلل, لأن جميعها يرجع إلى ابن عباس وقد أخذها من كعب الأحبار اليهودي الذي دس ما دس في الموروث الإسلامي ولنضرب في المقام مثالين:

1- ما ورد في الطعن في الملائكة في قصة هذه الآية في نفس المصدر عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر فلما كان في آخر الليل، قال يا نافع: انظر هل طلعت الحمراء ؟ قلت لا، مرتين أو ثلاثاً, ثم قلت: قد طلعت. قال: لا مرحباً بها ولا أهلاً. قلت: سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع. قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله . قال: [إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب ؟ قال: إني أبليتهم وعافيتهم. قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك، قال: فاختاروا ملكين منكم، فلم يألوا جهداً أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت فنزلا، فألقى الله عليهما الشبق. قلت: وما الشبق ؟ قال: الشهوة, فجاءت امرأة يقال لها الزهرة فوقعت في قلوبهما فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه ثم قال أحدهما للآخر هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي ؟ قال: نعم، فطالباها لأنفسهما فقالت لا أمكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء وتهبطان فأبيا ثم سألاها أيضاً فأبت. ففعلا فلما استطيرت طمسها الله كوكباً وقطع أجنحتهما ثم سألا التوبة من ربهما فخيرهما فقال إن شئتما رددتكما إلى ما كنتما عليه، فإذا كان يوم القيامة عذبتكما، وإن شئتما عذبتكما في الدنيا فإذا كان يوم القيامة رددتكما إلى ما كنتما عليه، فقال أحدهما لصاحبه إن عذاب الدنيا ينقطع ويزول فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة, فأوحى الله إليهما أن ائتيا بابل فانطلقا إلى بابل فخسف بهما فهما منكوسان بين السماء والأرض معذبان إلى يوم القيامة].

2- ما ورد في الطعن في قصة سليمان والخيل الواردة في سورة ص قال سبحانه: [وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سلَيْمَنَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنّهُ أَوّابٌ * إِذْ عُرِض عَلَيْهِ بِالْعَشِيّ الصفِنَت الجْيَادُ * فَقَالَ إِنى أَحْبَبْت حُب الخْيرِ عَن ذِكْرِ رَبى حَتى تَوَارَت بِالحْجَابِ * رُدّوهَا عَلىّ فَطفِقَ مَسحَاً بِالسوقِ وَالأَعْنَاقِ * وَلَقَدْ فَتَنّا سلَيْمَنَ وَأَلْقَيْنَا عَلى كُرْسِيّهِ جَسداً ثمّ أَنَاب] [(17)]. ففي هذه الآيات عدة مواضع, ومنها ثلاثة:

الأول: قوله: (فطفق مسحاً بالسوق والأعناق): قال ابن عباس: سألت علياً عن هذه الآية فقال: [ما بلغك فيها يا ابن عباس ؟] قلت: سمعت كعباً يقول: اشتغل سليمان بعرض الأفراس حتى فاتته الصلاة, فقال: ردوها علي يعني الأفراس وكانت أربعة عشر فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً, لأنه ظلم الخيل بقتلها. فقال علي: [كذب كعب,

---

(17) ص:30-34.

لكن اشـــتغل ســـليمان بعرض الأفراس ذات يوم, لأنه أراد جهاد العدو حتى توارت الشـــمس بالحجاب, فقال بأمر الله للملائكة الموكلين بالشـمس: ردوها علي فردت فصـلى العصـر في وقتها, وإن أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم لأنهم معصـــومون مطهرون]. فقد نصـــت هذه الرواية على أن المقصود من مسح أعناق الخيل وسوقها يعني ضربها بالسيف وقطعها, والمسح يعني القطع فهو غضب على الخيل عندما عرضت عليه فشغلته عن الصلاة وذكر الله فأمر بردها, ثم ضرب بالسيف أعناقها وسوقها فقتلها جميعاً. هذا بناءً على رجوع الضمير في ردوها الى الخيل بحسب فهم كعب الأحبار وفيه من اللوازم الباطلة ما لا يخفى كما في لزوم محذور قتل الخيل بغير ذنب ولا جريرة المســـتلزم للظلم –كما في الرواية – فما ذنبها حتى تقتل تلك القتلة الفظيعة والشـــنيعة عن بكرة أبيها. مضافاً لمحذور إتلاف المال المحترم من دون مبرر له شرعاً أو عرفاً. بينما التفسير الصحيح لهذه الآية احتمالية رجوع الضمير الى أحد مرجعين؛ أما رجوعه الى الشمس بحسب الظاهر من قول أمير المؤمنين باعتبار أن هذا النبي عندما فاتته صـــلاة العصـــر بســـبب انشـــغاله بالنظر إلى الخيل أمر الملائكة برد الشمس فشرع يمسح ساقيه وعنقه ويأمر أصحابه أن يمسحوا سوقهم وأعناقهم وكان ذلك وضوءهم ثم صلى وصلوا معه، كما صرحت بذلك مجموعة من الروايات وأما رجوع الضمير الى الخيل بمعنى: ردوا الخيل فلما ردت شرع يمسح مسحاً بسوقها وأعناقها ويجعلها مسبلة في سبيل الله جزاء ما اشـــتغل بها عن الصـــلاة وليس في اشـــتغاله بالنظر الى الخير منقصـــة باعتبار أن نظره الشـــريف كان من باب العبادة اما حباً بالجهاد التي تكون الخيل وســـيلة اليه كما تقدم عن أمير المؤمنين وأما لمصلحة إلهية اقتضت تسجيل هذه الحادثة لاثبات الاعجاز الالهي وبيان مرتبة هذا النبي التي ردت اليه الشمس كما ردت على يوشع بن نون وصي موسى وأمير المؤمنين وصي رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كرامة من الله سبحانه لأولياه الصالحين.

الثاني: قوله: (حتى توارت بالحجاب): روى كعب أنه حجاب من ياقوتة خضـــراء محيط بالخلائق منه اخضرت السماء.

الثالث: قوله: (وألقينا على كرسيه جسداً): روى كعب: أنه ولد له ولد فأمر بإرضاعه وحفظه في السحاب إشفاقاً عليه من مردة الجن. وفي بعضها: خوفاً عليه من ملك الموت فوقع يوماً جسده على كرسيه ميتاً. وفي بعضها: لأطوفن الليلة بمائة امرأة من نسائي تلد لي كل واحدة منهن لي فارساً

يجاهد في سبيل الله ولم يستثن فلم تحمل منهن إلا واحدة بشق من ولد وكان يحبه فخبأه له بعض الجن من ملك الموت فأخذه من مخبئه وقبضه على كرسي سليمان.

المبحث الثالث: الأحكام الشرعية:

استدل بهذه الآية على تحريم السحر وفيه جهات ثلاثة باعتبار حقيقة السحر وأقسامه وموضوعه وتعلمه وتعليمه:

الجهة الأولى: حقيقة السحر:

إن للسحر معان عديدة في اللغة:

-كل ما كان من الشيطان فيه معونة.

- الأخذة التي تأخذ العين.

- البيان في الفطنة.

- ما لطف مأخذه ودق.

- صرف الشئ عن وجهه.

- الخداع.

- إخراج الباطل في صورة الحق.

ويمكن أن ترجع هذه المعاني لمعنى جامع فتكون المعاني المتقدمة من قبيل المحققات والمصاديق التي يتقوم بها حد السحر وتعريفه, لأنها عبارة عن قيود مأخوذة بنحو الطريقية والآلية المستفادة من تتبع الآثار والتأثيرات التي يحدثها السحر في الأشياء الخارجية, فيقال أن السحر عبارة عن كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع, وغيرها مما تقدم في التعريف اللغوي.

وأما تعريف السحر في الاصطلاح وعرف الفقهاء فكان النزاع دائراً بين أن يكون للسحر تأثير وحقيقة واقعية أو أنه مجرد تخيل وتمويه فوجد قولان أظهرهما الثاني:

القول الأول: أن السحر لا حقيقة واقعية له ولا تأثير وإنما مجرد تخيل وتمويه فليس له قابلية على التصرف بالأشياء وتغيير حقيقتها, واستدل له بطائفتين من الآيات:

1- الآيات التي نصت بكون السحر عبارة عن التخيل من طرف الناظر, كما حكى سبحانه عن موسى في قصته مع سحرة فرعون عندما القوا حبالهم فانقلبت في نظر الناظر والرائي المشاهد إلى أفاعي تسعى قائلاً: [قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى].

2- الآيات التي نفت الفلاح عن السحر والساحرين, قال جل شأنه: [وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ]. وقال عز مَن قال: [وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى]. فلو كان للسحر والساحر قدرة ومكنة على قلب الأشياء والتلاعب بها لما نفي الفلاح عنه.

القول الثاني: أن السحر له حقيقة واقعية وتأثير على الأشياء بحيث يستطيع التصرف بها وقلب حقيقتها من حالة إلى أخرى, واستدل له بطائفتين من الآيات:

1- الآيات الدالة على حصول الآثار الحقيقية من السحر وتأثيراته في الأشياء, كما في تأثيره في العلاقة الزوجية من حيث أنه يبعث نحو التفرقة بينهما وبينونة أحدهما عن الآخر, كما في الآية المبحوث عنها في قوله تعالى: [تَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ].

2- الآيات الآمرة بالاستعاذة من السحر, كما في قوله تعالى في سورة الفلق: [وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ]. فلو لم يكن للسحر قدرة في بث الشرور والأفعال القبيحة لما كان للأمر بالاستعاذة منه مكان من الإمكان.

الجهة الثانية: أقسام السحر وموضوعه:

إن هناك أقساماً كثيرة للسحر أوصلها صاحب البحار إلى ثمانية وهي:

1- سحر الكلدانيين الذين يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها المدبرة لهذا العالم.

2- سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية, وهم من كانت نفوسهم ذا قوة نفسية عالية مؤثرة في الحوادث.

3- الاستعانة بالأرواح الأرضية كالجن والشياطين.

4- سحر التخيلات والأخذ بالعيون, وهم من كانوا يستعينون بعمل شيء يستوجب خيال الطرف الآخر وإن لم يكن له واقع حقيقي.

5- سحر الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على نسب الهندسة.

6- سحر الاستعانة بخواص الأدوية.

7- سحر تعليق القلب.

8- سحر النميمة.

الجهة الثالثة : تعلم وتعليم السحر:

اختلف العلماء في جواز تعلم السحر وتعليمه على قولين رئيسين:

القول الأول: الجواز: يجوز تعلم السحر وتعليمه, ولكن لهذا الجواز أفراد ومراتب:

1- الجواز مطلقاً: يجوز تعلم السحر وتعليمه مطلقاً.

2- الوجوب: يجب تعلم السحر وتعليمه.

3- الجواز مقيداً: يجوز تعلم السحر وتعليمه في موارد دفع السحر بالسحر وحل السحر بالسحر.

واما أدلة هذا القول فهي على شكلين:

الشكل الأول: القواعد العامة: ومنها:

1- أصالة دفع الضرر لما في السحر من ضرر وإضرار فيجب دفع الضرر المترتب على السحر من أجل التوقي منه ودفع محاذيره.

2- أن العلم بالسحر وتعليمه ليس بقبيح عقلاً فيكون مشمولاً لعمومات أفضلية العلم والمتعلمين على الجهل والجاهين.

3- وقوع التعليم من الملائكة مع عصمتهم. ورابعاً: توقف العلم بالسحر على التفريق بينه وبين المعجزة, فلو لم يكن تعلم السحر جائزاً لما أمكن الفرق بينهما, وأما الذم الوارد في التعليم فهو مسوق مساق الإغواء والضلال, وهو كما ترى ثابت حتى للعلوم الصحيحة.

الشكل الثاني: الأخبار: ومنها ثلاثة[18]:

1- روى في الكافي عن القمي عن أبيه، عن شيخ من أصحابنا الكوفيين، قال: دخل عيسى بن شفقي على أبي عبد الله ، قال: جعلت فداك! أنا رجل كانت صناعتي السحر، وكنت آخذ عليه الأجر وكان معاشي، وقد حججت منه، وقد من الله علي بلقائك، وقد تبت إلى الله عز وجل من ذلك، فهل لي في شئ من ذلك مخرج ؟ فقال له أبو عبد الله : [حل ولا تعقد].

2- رواية الإمام العسكري عن آبائه عليه و في قوله تعالى: [وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت] قال: [كان بعد نوح قد كثرت السحرة والمموهون، فبعث الله ملكين إلى نبي ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة، وذكر ما يبطل به سحرهم ويرد به كيدهم، فتلقاه النبي عن الملكين وأداه إلى عباد الله بأمر الله، وأمرهم أن يقضوا به على السحر، وأن يبطلوه، ونهاهم عن أن يسحروا به الناس.. الحديث].

3- رواية علي بن محمد بن الجهم عن مولانا الرضا - في حديث - قال: [وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علما الناس السحر ليحترزوا به عن سحر السحرة ويبطلوا به كيدهم، وما علما أحداً من ذلك شيئاً حتى قالا: إنما نحن فتنة فلا تكفر، فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز منه وجعلوا يفرقون بما تعلموه بين المرء وزوجه، قال الله تعالى: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) يعني بعلمه].

القول الثاني: الحرمة: يحرم تعلم السحر وتعليمه, وهو مبنى مشهور الامامية وقال به من المذاهب أبو حنيفة ومالك وأحمد. ويمكن الاستدلال له بأدلة, ومنها:

الأول: الإجماع: فقد أجمع العلماء على تحريم تعلم السحر وتعليمه, بل ادعي أن تحريمه من ضروريات الدين كما عن فخر المحققين ( ) وأن الذي يقول بحلية السحر كافر محكوم بقتله.

يرد عليه: مخالفة بعض العلماء, كشارح النخبة الذي فصل؛ بين الطلسمات المستعملة في الإضرار والتمويه, فهو حرام, وبين الطلسمات المستعملة للأغراض غير الإضرار والتمويه, فيجوز. ولكن قد يقال بإن الطلسمات ليست من أقسام السحر.

---

(18) الكافي 5:115, علل الشرائع 2: 546, الوسائل باب25 من أبواب ما يكتسب به حديث4, 5.

الثاني: الروايات: وقد بلغت حد الاستفاضة, ومنها ثلاثة [19]:

1- نهج البلاغة : قول أمير المؤمنين : [والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار..].

2- قوله : أي [من تعلم شيئاً من السحر قليلاً أو كثيراً فقد كفر، وكان آخر عهده بربه, وحده أن يقتل إلا أن يتوب].

3- رواية السكوني: عن الصادق قال: [قال رسول الله : " ساحر المسلمين يقتل، وساحر الكفار لا يقتل.] قيل: يا رسول الله لم لا يقتل ساحر الكفار ؟ قال: [" لأن الشرك أعظم من السحر، ولأن السحر والشرك مقرونان "].

الفصل الخامس

علم المكي والمدني

وفيه جهات ثلاثة:

الجهة الأولى: تعريف علم المكي والمدني:

هو العلم الذي يتكفل البحث في الآيات والسور المكية والمدنية بأحد اعتبارات واتجاهات ثلاثة بل أربعة:

الأول: اعتبار زمن نزول الآيات, وفيه تقسيم السور والآيات القرآنية باعتبار هجرة النبي صلى الله عليه واله من مكة الى المدينة الى قسمين:

1- السور والآيات المكية: وهي الآيات التي نزلت في مكة المكرمة قبل الهجرة وان كان مكان نزولها في غير مكة, كما في مثل قوله تعالى:

- (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ).

فانها مكية نزلت في ابتداء الدعوة الإسلامية من مكة.

2- السور والآيات المدنية: وهي الآيات التي نزلت في المدينة المنورة المكرمة بعد الهجرة وان كان مكان نزولها في مكة.

- (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً).

---

(19) الوسائل باب25 من أبواب ما يكتسب به حديث7,2,6.

فإنها مدنية مع أنها نزلت بعرفة في حجة الوداع بغدير خم يوم تنصيب الإمام علي عليه السلام أميرا للمؤمنين.

الثاني: اعتبار مكان نزول الآيات, وفيه تقسيم السور الآيات القرآنية باعتبار مكان تواجد النبي صلى الله عليه واله في مكة او المدينة الى قسمين:

1- السور والآيات المكية: وهي الآيات التي نزلت في مكة المكرمة وان كان زمان نزولها بعد الهجرة. ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل على النبي صلى الله عليه واله وسلم بمنى وعرفات والحديبية.

2- السور والآيات المدنية: وهي الآيات التي نزلت في المدينة المنورة المكرمة وان كان زمان نزولها قبل الهجرة. ويدخل في المدينة ضواحيها أيضا كالمنزل عليه في بدر وأحد.

يرد عليه: لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيهما, ومثاله قوله سبحانه:

- (لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ).

فإنها نزلت بتبوك.

- (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا).

فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج.

الثالث: اعتبار الأشخاص المخاطبين بآياته, وفيه تقسيم السور الآيات القرآنية باعتبار الأشخاص المخاطبين إلى قسمين:

1- السور والآيات المكية: وهي الآيات التي نزلت في خطاب أهل مكة وكانت مصدرة بـ(يَا أَيُّهَا النَّاسُ, يا بني ادم).

يرد عليه: إن هناك آيات مدنية صدرت بصيغة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) ومثاله:

- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ).

فإنها وردت في سورة البقرة وهي مدنية.

2- السور والآيات المدنية: وهي الآيات التي نزلت في خطاب أهل المدينة. وكانت مصدرة بـ(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا).

يرد عليه: هناك آيات مكية صدرت بصيغة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ومثاله:

- قوله تعالى: (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا).

فإنها وردت في سورة الحج وهي مكية.

الرابع: اعتبار روايات التفسير, وفيه تقسيم الآيات القرآنية باعتبار الأخبار والروايات التفسيرية التي تحدد خصائص ومميزات الآيات المكية والآيات المدنية بتفصيل آت.

الجهة الثانية: ضوابط ومميزات المكي والمدني:

إن هناك مجموعة من المميزات والضـــوابط الموضـــوعة من اجل التمييز بين الســـور والآيات المكية والمدنية بعد العلم به في زمان النبي باعتبار معاينة الصحابة وليس بعد العيان بيان, فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (سلوني قبل أنْ تفقدوني، فوالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل أُنزلت أو في نهار أُنزلت، مكيّها ومدنيّها، سفريّها وحضريّها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم). ولكن الخلاف وقع بعد ذلك الزمان فوجدت تلك الخصائص والضوابط المستفادة والمستنبطة من الروايات وأقول العلماء, وفيها نحوان:

النحو الأول: مميزات المكي:

1- الســور والآيات التي ذكر فيها مجادلة ومحاججة المشــركين والكفار التي كانت تعصــف بالخارج الإسلامي.

2- الســور والآيات التي ذكر فيها قصــص الأنبياء والأمم الســابقة ما عدا ســورة البقرة فإنها مدنية بالاجماع.

3- السور والآيات التي يغلب فيها القصر والإيجاز بنحو الاختصار والاجمال.

4- السور والآيات التي يستعمل فيها نداءات مصدرة بجملة: (يا أيها الناس) او (يا بني ادم).

5- السور والآيات التي يستعمل فيها أسلوب الردع والزجر بكلمة (كلا). وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن6ثلاثا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن.

6- السور والآيات التي وردت فيها السجدة.

7- الســور والآيات التي تكون مصــدرة بأحرف التهجي (حم, حمعســق, كهيعص) ما عدا ســورتي البقرة وآل عمران فإنهما مدنيتان بالإجماع.

8- السور والآيات التي ورد فيها قصص ادم وإبليس ما عدا سورة البقرة.

9- الســور والآيات التي ورد فيها المفصــل وهي الســور التي تكون آياتها قصــيرة التي تبدأ بســورة الحجرات وتنتهي بسورة الناس.

10- السور والآيات التي لم تذكر فيها الأدلة والبراهين في مقام المحاججة.

النحو الثاني: مميزات المدني:

1- الســـور والآيات التي ذكر فيها المنافقون ما عدا ســـورة العنكبوت فإنها مكية ما عدا الآيات الإحدى عشرة الأولى التي ذكر فيها المنافقون فهي مدنية.

2- السور والآيات التي ذكر فيها مجادلة ومحاججة أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

3- السور والآيات التي يغلب فيها غلبة الطول والإطناب بنحو التطويل والتفصيل.

4– السور التي يستعمل فيها نداءات مصدرة بجملة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا).

5– السور التي ذكر فيها الأحكام الشرعية المتعلقة بالحدود والفرائض.

6– السور والآيات التي ذكر فيها الأحكام الشرعية المتعلقة بالجهاد والقتال والسلم والهدنة.

7– السور والآيات التي ذكرت فيها الأدلة والبراهين في مقام المحاججة.

الجهة الثالثة: فائدة المكي والمدني:

إن هناك مجموعة من الفوائد والثمرات الكبيرة والعظيمة المترتبة على معرفة المكي والمدني, ومنها ثلاثة:

1– تمييز الآيات الناسخة من الآيات المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضـــوع واحد وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفا للحكم في غيرها ثم عرف أن بعضها مكي وبعضها مدني فهنا نحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي نظرا إلى تأخر المدني عن المكي على تفصيل آت.

2– معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام, وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو وعلو وجلال السياسة الإسلامية في التربية والتعليم سواء كان على مستوى الأفراد والشخوصات ام كان على مستوى الشعوب والحضارات.

3– القطع والعلم بوصول هذا القران الكريم وما فيه من سور وآيات قد وصلت إلينا يدا بيد وجيلا بعد جيل محفوظا وســـالما ومحميا من دون ان تناله يد التغيير والتحريف والتزوير بإذنه ســـبحانه وتقدس.

4– تثبيت الوحي الإلهي في ذهن كل من يســـمع الآية فيما إذا عرف زمان نزولها باعتبار قانون تداعي المعاني من حيث ربط الأســـباب بالمســـببات والأحكام بالحوادث والحوادث بالأشـــخاص والأزمنة والأمكنة من دواعي تقرر الأشياء وانتقاشها في الذهن وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر.

الفصل السادس

علم أسباب النزول

وفيه جهتان:

الجهة الأولى: تعريف علم أسباب النزول:

هو العلم الذي يتكفل البحث في الكشف عن أسباب نزول السور والآيات القرآنية في عصر النبي عليه واله السلام. فهنا قيدان:

القيد الأول: أسباب النزول: وهو قيد لإخراج الآيات التي نزلت من أجل هداية الخلق الى الحق من دون وقوع سبب معين في عصر النبي عليه واله السلام أثار نزولها, ومثاله:

– الآيات التي تصور قيام الساعة ومشاهد القيامة وأحوال العذاب والنعيم.

فان الله تعالى انزل هذه الآيات ابتداء من اجل هداية الخلق من غير أن تكون إجابة عن سؤال أو حلاً لمشكلة طارئة أو تعليقاً على حادثة معاصرة لعصر النبي عليه واله السلام.

القيد الثاني: في عصر النبي عليه واله السلام: وهو قيد لإخراج الآيات التي نزلت لمعالجة قضايا تأريخية سابقة على عصر النبي, ومثاله:

– الآيات التي تحكي قصص الأمم السابقة على الأمة الإسلامية.

فتحصل أن أسباب النزول عبارة عن حوادث وقعت في عصر في عصر النبي عليه واله السلام اقتضت نزول الوحي بشأنها, ومثالها الآيات المصدرية بكلمة: (ويسألونك) في قوله تعالى:

– (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ).

– (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ).

–(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ).

–(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي).

الجهة الثانية: تعدد ووحدة النزول والنازل:

هنا قاعدتان بل ثلاثة:

القاعدة الأولى: تعدد السبب والنازل واحد: وهو أن يتعدد نزول سورة واحدة ولكن النازل هو سورة واحدة, ومثاله:

– سورة الإخلاص: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ).

فإنها نزلت مرتين:

1– مكة جواباً للمشركين.

2– المدينة جواباً لأهل الكتاب.

القاعدة الثانية: تعدد النازل والسبب واحد: وهو أن يتعدد نزول أكثر من سورة واحدة ولكن السبب واحد, ومثاله:

– سؤال أم سلمة عن سبب عدم ذكر الله تعالى النساء في الهجرة فكان أن نزلت سورتان:

1– قوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى..) [20].

---

[20] آل عمران 195.

2- قوله تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ..) [21].

ومع تمامية هاتين القاعدتين فانه يجب ان لا نحكم بالتعارض بين موردين في تعارض روايتين تتحدثان عن أسباب النزول:

1- إذا ذكرت كل من الروايتين سبباً لنزول آية يغاير السبب الذي ذكرته الرواية الاخرى لنزول نفس تلك الآية.

2- إذا ذكرت كل من الروايتين عن سبب واحد فذكرت كل منهما نزول آية بذلك السبب غير الآية التي ربطتها الرواية الأخرى به.

وذلك لأنه من الممكن فهم الاختلاف بين الروايتين والجمع بينهما على اساس امكان تعدد سبب النزول لآية واحدة او تعدد الآيات النازلة بسبب واحد فلا يوجد بين الروايتين تعارض.

القاعدة الثالثة: خصوصية المورد لا تخصص الوارد: وهو أن السبب الذي نزل من اجله الوحي لا يخصص التشريع العام ولا يقيده وإنما يكون ذلك السبب مجرد مثير لنزول الوحي فيشمله الحكم النازل ويبقى هذا الحكم على عمومه سارياً على جميع الوقائع والأحداث المماثلة لذلك السبب. وتسمى أيضا بـ(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب). ومثاله:

- فآية اللعان في قوله سبحانه: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ).

فان هذه الآيات الكريمات نزلت في تشريع حكم اللعان بين الزوجين فيما لو اتهم الزوج زوجته بالزنا وان كان سبب نزولها خاصا في شأن هلال بن أمية وزوجته ولكن هذا التخصيص للمورد لا يخصص عموم الوارد في حكم ثبوت اللعان لجميع الأزواج.

واما إذا بنينا على خصوصية المورد تخصص الوارد فيكون تخصيص الحكم بالسبب بأن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ. فيختص حكم اللعان بهلال بن أمية وزوجته دون غيرهما من الأزواج.

الجهة الثانية: :

الجهة الثالثة:

---

[21] **الأحزاب 35.**

.

الفصل السابع

علم الناسخ والمنسوخ

وفيه جهات ثلاثة:

الجهة الأولى: تعريف علم الناسخ والمنسوخ:

هو العلم الذي يتكفل البحث في الآيات الناسخة والمنسوخة باعتبار رفع الحكم الشرعي المنسوخ بدليل شرعي ناسخ. فهنا قيود ثلاثة:

1- رفع: هو قطع تعلق الحكم الشرعي بفعل المكلف. فيخرج بهذا القيد التخصيص لان التخصيص هو قصر الحكم على بعض الأفراد وليس في التخصيص قطع.

2- الحكم الشرعي: الخطاب المتعلق بفعل المكلف سواء كان بنحو الوجوب او الحرمة او الاستحباب او الكراهة او الإباحة او السبب وغيرها. فيخرج بهذا القيد مثل وجوب الصلاة فإنه يرفع حكم العقل ببراءة الذمة قبل ورود الشرع بالصلاة.

3- دليل شرعي: هو الدليل المستفاد من الشرع فيخرج بهذا القيد رفع حكم شرعي بدليل عقلي كمثل سقوط التكليف عن الإنسان بموته أو جنونه أو غفلته فإن سقوط التكليف عن الإنسان بأحد هذه المذكورات يدل عليه العقل وليس الشرع.

فتحصل أن هنا حكمين:

1- المنسوخ وهو الحكم الشرعي الأول المرفوع المتقدم زمانا.

2- الناسخ وهو الحكم الشرعي الرافع المتأخر زمانا.

وهذان الحكمان – المنسوخ والناسخ – بينهما تناف وتعارض حقيقي بحيث لا يمكن الجمع بينهما فيتقدم بمقتضى النسخ الحكم الناسخ على الحكم المنسوخ, ومثاله:

حكم .

الجهة الثانية: أقسام النسخ:

يمكن تقسيم النسخ إلى تقسيمين:

التقسيم الأول: النسخ في القرآن, وفيه أقسام ثلاثة:

1- نسخ التلاوة والحكم: والمقصود منه أن الله سبحانه كان قد انزل من القرآن آيات تتضمن حكماً شرعياً ثم نسخ تلاوة ذلك القرآن, فلم يكتب في المصحف المتداول بين المسلمين, ونسخ حكمه من شريعة الإسلام. ومثاله:

– روى عمرة عن عائشة أنها قالت: "كان فيما انزل من القرآن: (عشر رضعات معلومات يحرمن) فنسخن خمس معلومات، فتوفي رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن[22].

2– نسخ التلاوة دون الحكم: والمقصود منه أن الله سبحانه كان قد انزل من القرآن آيات ثم نسخ تلاوتها, فلم تكتب في المصحف المتداول بين المسلمين, وإنما أبقى حكمها في شريعة الإسلام. ومثاله:

– روي عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا يقرؤون سورة على عهد رسول الله في طول سورة البراءة، وانها نسيت إلا آية منها، وهي: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب).].

3– نسخ الحكم دون التلاوة: والمقصود منه أن الله سبحانه أنزل من القرآن آيات عمل بها المسلمون, ثم نسخ تلك الايات بآيات أخرى, وبقيت الآيات المسماة منسوخة مكتوبة في المصحف, ونسخ حكمها. ومثاله:

– آية النجوى في قوله سبحانه في سورة المجادلة: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]. حيث أمر الله عز وجل المؤمنين بعدم الكلام في حضرة رسوله عليه وآله السلام إلا بعد تقديم صدقة, ولكنها نسخت بعد هذه الآية مباشرة بقوله تعالى: [أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] [23].

ولم يعمل بهذه الآية إلا أمير المؤمنين حيث عد ذلك من مناقبه وقال في ذلك: [إن لفي كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فجعلت أقدم بين يدي كل نجوة أناجيها النبي درهماً. قال: فنسخت فلم يعمل بها أحد بعدي.].

التقسيم الثاني: النسخ في الأحكام الثابتة في القرآن الكريم, وفيه قسمان:

---

(22) صحيح مسلم:167/4.
(23) المجادلة:13,14.

1- نسخ الحكم الثابت بالقرآن الكريم بآية قرآنية أخرى, سواء كانت هذه الآية ناظرة ومبينة إلى الحكم المنسوخ, كما آية النجوى المتقدمة. أم كانت هذه الآية غير ناظرة إلى الحكم السابق ولا مبينة لرفعه بتفصيل آت.

2- نسخ الحكم الثابت بالقرآن بدليل قطعي, كما لو نسخ الحكم بالخبر المتواتر, أو قيام الإجماع القطعي الذي يستكشف منه صدور النسخ عن المعصوم , فإنه يجوز أن نرفع اليد عن الدليل القطعي بدليل قطعي آخر لا يتطرق إليه الشك كما في المقام, وأما الأخبار المستفيضة التي لم تبلغ حد التواتر أو الأخبار الضعيفة فلا يجوز الالتزام بجواز النسخ فيها لعدم معقولية رفع اليد فيها كما لا يخفى.

الجهة الثالثة: حكمة النسخ:

إن الحكمة والغاية والفائدة المترتبة على وقوع النسخ القرآني جود المتشابهات في القران الكريم لها وجوه كثيرة ومنها ما محصله أن يقال: إن النسخ وقع بالشريعة الإسلامية بمعنى أن الله سبحانه وتعالى نسخ بالدين الإسلام جميع الأديان السماوية التي سبقته لاسيما الديانتين اليهودية والمسيحية, وذلك من أجل استحقاق الخلق لنزول تشريع أكمل ودين أتم يتناسب مع تكامل الخلق وعلاقته مع الحق بعد ان استوفى الخلق كمالهم الخاص بكل تشريع ودين سابق على الإسلام.

كما أن الله سبحانه وتعالى عمد الى نسخ بعض الأحكام الإسلامية ببعض الأحكام لنفس الغاية المتقدمة في نسخ الإسلام للأديان السابقة عليه فان في نفس هذه الأحكام كمالات وسعادات وألطاف خاصة ومخصوصة بها كلما استحق الإنسان بلوغ كمال أعلى تحقق موضوع نسخ الحكم الأول بحكم آخر أعلى كمالا منه من اجل تقوية وتوطيد العلاقة التصاعدية مع الله سبحانه.

فان مجرد البقاء على شريعة معينة او حكم شرعي من أحكام تلك الشريعة من دون الاستفادة من هذه الشريعة او الحكم يعني توقف تلك العلاقة التصاعدية مع الله تعالى, فاذا توقفت هذه العلاقة انقطعت الصلة بين الخلق وبين الحق.

ولذا ترى الحق تعالى يعمد الى جملة من الوسائل والطرق ومن بينها النسخ القرآني من اجل دفع محذور التوقف والانقطاع بين العبد والرب فيرفع ويبدل أحكام شرعية كانت ذات غايات وفوائد ترجع الى العبد بأحكام شرعية جديدة أكثر فائدة من تلك الأحكام السابقة التي قد استوفت فوائدها وغاياتها التي من اجلها شرعها الله تعالى لخلقه.

الفصل الثامن

علم المحكم والمتشابه

وفيه جهات ثلاثة:

الجهة الأولى: تعريف علم المحكم والمتشابه:

هو العلم الذي يتكفل البحث في الآيات المحكمة والمتشابهة. فهنا مصطلحان قد أشير لهما في القران الكريم بقوله تعالى: (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ):

الأول: المحكم, وفيه معنيان:

1- اللغوي: وهو اسم مفعول من أحكم أي أتقن يقال بناء محكم أي بناء متقن.

2- الاصطلاحي: وهو ما دل على معنى واضح مفهوما ومصداقا. وأمثلة ذلك قوله تعالى:

- (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا).

- (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ).

فان لفظ (أحد) واضح المعنى في الوحدانية ونفي الشريك فهو محكم.

الثاني: المتشابه, وفيه معنيان:

1- اللغوي: وهو اسم فاعل من شابه بمعنى التبس وخفي أمره.

2- الاصطلاحي: وهو ما لم يدل على معنى واضح مفهوما ومصداقا, وأمثلة ذلك:

- (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ).

- (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ).

فان لفظ (استوى) غير واضح المعنى في تحديد المفهوم والمصداق الخارجي للذات المقدسة الذي ليس كمثله شيء فهو متشابه.

الجهة الثانية: أقسام المتشابه:

ينقسم المتشابه القرآني إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: المتشابه اللفظي: وهو أن يكون التشابه فيه من جهة اللفظ, وفيه أنواع خمسة:

1- التشابه في المفرد بسبب الغرابة وندرة الاستعمال, ومثاله:

- قوله تعالى: (وَفَاكِهَةً وَأَبّاً).

فان لفظ (الأب) معناه ما ترعاه البهائم بدليل قوله بعد ذلك: (مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ).

2- التشابه في المفرد بسبب الاشتراك بين عدة معان, ومثاله:

- قوله تعالى: (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ).

فان لفظ (اليمين) مشترك بين معنيين:

– اليد اليمنى.

– الحلف والقسم بدليل قوله تعالى: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ).

3– التشابه في المركب بسبب الاختصار والايجاز, ومثاله:

–قوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ).

فإن هناك مركبا مقدرا ينحل فيه خفاء هذه الآية التي بينت ان هناك خوفا من ولاية اليتامى وليس هناك خوف من الزنا فان الله تعالى أعطى العلاج بالزواج المتعدد بدل الزنا, فيكون التقدير: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى لو تزوجتموهن فانكحوا ما طاب لكم من النساء.

4– التشابه في المركب بسبب البسط والإطناب, ومثاله:

– قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).

فان الخفاء هناك مركبا مقدرا وهو حرف الكاف الذي يعني المثل فيكون التقدير: ليس مثل مثله شيء.

وفيه من الدقة ما يعلو على كثير من الأفهام.

5– التشابه في المركب لترتيبه ونظمه, ومثاله:

– قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قَيِّماً).

فإن الخفاء جاء من جهة الترتيب بين لفظ (قَيِّماً) وما قبله فلو قيل: أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا لكان أظهر.

القسم الثاني: المتشابه المعنوي: وهو أن يكون التشابه فيه من جهة المعنى, ومثاله:

– قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّـــاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).

فان الخفاء هنا في موارد علمية معنوية اختصها الله تعالى لنفسه:

– علم زمان يوم القيامة.

– علم إنزال المطر.

– علم ما في الأرحام من ذكر او أنثى.

– علم كسب الرزق.

– علم موت النفوس في أي مكان.

القسـم الثالث: المتشـابه اللفظي والمعنوي معا: وهو أن يكون التشـابه فيه من جهتي اللفظ والمعنى معا, ومثاله:

– قوله تعالى: (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا).

فإن الخفاء جاء من جهة اختصار اللفظ الموجب لخفاء المعنى من حيث المكان فلو قيل: وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها إذا كنتم محرمين بحج أو عمرة لانحل هذا الخفاء باعتبار ان هناك عادة عند المحرمين بحج أو عمرة فإنهم لا يدخلون الى بيت او دار او بستان من باب فجاءت هذه الآية للرد على هذه العادة ولكن بنحو من الخفاء.

الجهة الثالثة: حكمة المتشابه:

إن الحكمة والغاية والفائدة المترتبة على وجود المتشابهات في القران الكريم لها وجوه كثيرة لاسيما وان هناك من أثار الشبهات والأوهام حول وجود المتشابهات المستلزم للوقوع في محذور التناقض ومخالفة الغرض الذي من اجله نزل فيه القران وهو الهداية والتربية للوصول للعبادة المطلقة لله تعالى باعتبار ان المتشابهات فرع عدم الوضوح وخفاء المعنى الا على الله تعالى والراسخين في العلم. فمن هنا لزم تحصيل تلك الفوائد من وجود المتشابهات في القران ومنها:

1- الاختبار والامتحان الإيماني الإلهي, فلو كان جميع ما في القران من سور وآيات محكما بمعنى الوضوح مفهوما ومصداقا لما كان في الإيمان به شيء من معنى الانقياد والخضوع لما انزل الله تعالى والتسليم لما جاءت به رسوله.

2- الحث على إعمال التدبر العقلي والقلبي, فان عدم التدبر في الآيات المتشابهة يستدعي مضافا لتوقف التكامل مخالفة الأمر بالتدبر في قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا).

3- الرجوع إلى المعصوم الراسخ في العلم, فإن الله تعالى جعل في هذا الرجوع أصلا من أصول الدين وهو النبوة التي تترشح منها الإمامة والنيابة عن الإمام, فكان هؤلاء واسطة في تلقي الأحكام بين الحق تعالى وبين سائر المخلوقات, ومن هذه الأحكام معرفة المتشابهات التي يكشف عن تأويلها الواسطة الى الخلق كل بحسب استحقاقه. وأما المتشابهات التي لا يعلم بها الله تعالى من دون واسطة المعصوم فهذا يقتضي التوقف والتسليم المطلق لإرادته وحكمته جل جلاله.

4- المقدمية والتهيئة الإلهية, فان الله تعالى جعل في كتابه الكريم آيات محكمة بمنزلة الأصول والقواعد الواضحة التي يصح الرجوع والركون إليها فيما لو عجز الإنسان عن فهم ما تشابه من الآيات, فتكون الآيات المحكمة مقدمة تهيئية لفهم الآيات المتشابهة لتكتمل بهذه الثنائية – المحكمات والمتشابهات – دائرة معارف الآيات القرآنية الايمانية, كما قال مولانا الامام الصادق عليه السلام: (من رد متشابه القرآن الى محكمه فقد هدي الى صراط مستقيم).

5- العمل بالمحكم والتسليم بالمتشابه, فإن من وفقه الله تعالى للعمل بالآيات المحكمة الواضحة والجلية المتمثلة بالسير في تطبيق الشريعة الإسلامية وما فيها من أحكام ومسائل شرعية والتسليم المطلق لله تعالى لفهم ما جاء في الآيات المتشابهة والعمل بها فإنه تعالى سوف يوفقه في الخطوة

اللاحقة لفهم الآيات المتشابهة والتي تمثل ما في نفس الشريعة الإسلامية من أحكام ومسائل إيمانية حقانية معمقة تزيد من علاقة العبد بالمولى.

الفصل التاسع

علم الرسم القرآني

وفيه جهتان:

الجهة الأولى: كتابة القران:

اتفق المؤرخون على أن قريشا في مكة العربية لم تأخذ الخط والكتابة إلا عن طريق حرب بن أمية بن عبد شمس ولكنهم اختلفوا فيمن أخذ عنه حرب. وهكذا كان حال المدينة سوى أن فيها اليهود الذين كان البعض منهم ممن يخط ويكتب. وعندما جاء الإسلام أمر بمحو الأمية وتعلم القراءة والكتابة, كما قال تعالى:

– (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ).

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه شيء من القران يدعو أحد كتابه من الصحابة وفي طليعتهم أمير المؤمنين وابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت زيد بن أرقم وأبي بن كعب وثابت بن قيس ويأمره بكتابة ما نزل عليه من الوحي الإلهي. وكان هؤلاء الكتاب يكتبون القرآن فيما يتيسر لهم من أدوات كالعظام والرقاع وجريد النخل ورقيق الحجارة ونحو ذلك من الوسائل المتوفرة آنذاك. وأن المصاحف لم تكن منقوطة ولا مشكولة وأن صورة الكلمة فيها كانت لكل ما يمكن من وجوه القراءات المختلفة وإذا لم تحتملها كتبت الكلمة بأحد الوجوه في مصحف ثم كتبت في مصحف آخر بوجه آخر وهلم جرا.

وبعد رحيل النبي عليه واله السلام تولى أمير المؤمنين مهمة رسم وكتابة القران وجمعه عن نسخة ورثها عن رسول الله عليهما والهما السلام وانها كانت باملاء النبي وخط الوصي في مصحف واحد بعد أن كان متفرقا في صحائف كثيرة قد تفرقت في الأصقاع والبلدان ثم قام الامام بعرض هذا المصحف على أبي بكر ولكنه أعرض عنه وعما جاء به لدواع كانت ملازمة لدعوى الخلافة على تفصيل موكول في علم العقائد. ثم اخذ بعد ذلك عثمان بن عفان زمام المبادرة وأمر بجمع المصاحب ورسمها فيما عرف من بعد بالرسم العثماني.

والأصـــل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للمنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير ولكن المصـــاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصـــل فوجدت فيها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق وذلك لأغراض تعاهد على تشـخيصـها العلماء الذين وضـعوا قواعد للمصـحف العثماني في خطه ورسمه, ومن هؤلاء العلماء:

– الشيخ أبو عباس المراكشي إذ ألف كتابا أسماه: عنوان الدليل في رسوم خط التنزيل.

– الشـــيخ محمد بن أحمد الشـــهير بالمتولي إذ نظم أرجوزة سماها اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم.

– الشيخ محمد خلف الحسيني شيخ المقارىء بالديار المصرية فشرح تلك المنظومة وذيل الشرح بكتاب سماه مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب إتباعه في رسم القرآن.

الجهة الثانية: جمع القران:

تقدم أن أمير المؤمنين بعد رحيل رســـول الله عليهما وآلهما الســـلام كان قد تولى مهمة كتابة وجمع القرآن الكريم في مصـــحف واحد بعد أن كان متفرقا. وقد أخذ هذه الفكرة عثمان بن عفان الذي أمر أن تنسخ من هذا المصحف الواحد مصاحف يبعث بها إلى أقطار الإسلام وأن يحرق الناس كل ما عداها ولا يعتمدوا سواها. ومن بعدهم جاء عصر التابعين وتابعي التابعين وفي طليعتهم أصحاب الإمام السجاد والباقر والصادق عليهم السلام وغيرهم من العامة كمجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة والحسن البصري وزيد بن أسلم.

وهذا يكشف لنا كشفا واضحا مدى اهتمام المسلمين منذ الصدر الأول بعلوم القرآن كيف ذلك وهو يمثل المصـــدر الأكبر والثقل الأعظم الصـــامت مع ضـــميمة المعصـــوم الناطق لقيام التشـــريع الإسلامي ومنظومته الفكرية والمعرفية كل ذلك يقع مصداقا لقوله عزوجل: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ). ومن الأخبار الواردة في جمع القران عن طريق العامة والخاصة:

1– قول أمير المؤمنين عليه السلام: أقسمت أن لا أدع ردائي عن ظهري حتّى أجمع ما بين اللّوحين ، فما وضعت ردائي حتّى جمعت القرآن.

2– روى قتادة قال: ســـألت أنس بن مالك: مَنْ جمع القرآن على عهد النبي صـــلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال: أربعة كلّهم من الأنصار: أُبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . وروى في موضع آخر مكان أُبيّ بن كعب أبا الدرداء.

3– عن هشـام بن عروة ، عن أبيه قال : لما قتل أهل اليمامة أمر أبو بكر عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، فقال : اجلسـا على باب المسـجد فلا يأتينّكما أحد بشـيء من القرآن تنكرانه ، يشـهد

عليه رجلان إلاّ أثبتماه ، وذلك لأنّه قتل باليمامة ناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جمعوا القرآن.

4- إسماعيل بن عيّاش ، عن عمر بن محمّد بن زيد عن أبيه : أن الأنصـــار جاءوا إلى عمر بن الخطّاب فقالوا : يا أمير المؤمنين نجمع القرآن في مصـحف واحد ، فقال : إنّكم أقوام في ألسـنتكم لحن ، وأنا أكره أن تحدثوا في القرآن لحناً ، وأبى عليهم.

5- عن مصعب بن سعد قال : سمع عثمان قراءة أُبيّ ، وعبدالله ، ومعاذ ، فخطب الناس ، ثمّ قال : «إنّما قبض نبيّكم(صـلى الله عليه وآله وسـلم) منذ خمس عشـرة سـنة ، وقد اختلفتم في القرآن عزمت على من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)لما أتاني به ، فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعسـيب فيه الكتاب ، فمن أتاه بشـيء قال : أنت سمعته من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ثمّ قال : أيّ الناس أفصح؟ قالوا : سعيد بن العاص ، ثمّ قال : أيّ الناس أكتب؟ قالوا : زيد بن ثابت ، قال : فليكتب زيد وليمل سـعيد» فكتب مصـاحف فقسّمها في الأمصار فما رأيت أحداً عاب ذلك عليه .

ويمكن القول بأن عملية جمع القرآن قد مرت بمراحل كثيرة ومنها مراحل ثلاثة:

المرحلة الأولى: الحفظ في الصـدور: وهي المرحلة التي نزل بها القران الكريم من الله العزيز الحكيم على قلب رسـوله الكريم عليه واله السـلام, وفيها أمر النبي في حياته كتابه بكتابة النازل عليه من القرآن بصـحائف متفرقة في العظام والرقاع واللخاف والعسـب ونحو ذلك ثم يوضـع في بيت النبي. ولكن في هذه المرحلة الصفة الغالب فيها ان جمع القران يعني الحفظ في الصدور كما هو احد معاني الجمع اذ كان العرب آنذاك من ذوي الكفاءة العالية في الحفظ والبلاغة والفصـاحة وان كان الأعم الأغلب أميين لا يجيدون القراءة والكتابة حتى كانت قلوبهم توراتهم وأناجيلهم وقرآنهم, وعقولهم سجلات أنسابهم, وأيامهم وحوافظهم دواوين أشعارهم ومفاخرهم. ثم جاء القرآن فبهرهم بقوة بيانه وتبيانه وأخذ عليهم مشـاعرهم بسـطوة ملكوته وسـلطانه حتى ان الرسـول بلغ من حرصـه على استظهار القرآن وحفظه أنه كان يحرك لسانه فيه في أشد حالات حرجه وشدته وهو يعاني ما يعانيه من الوحي وسطوته, وجبريل في هبوطه عليه بقوته, كما قال تعالى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ).

نعم يمكن ان يقال في هذه المرحلة إن القرآن كان على عهد رسول الله عليه واله السلام كان مجموعاً مؤلفاً غير مبتور بزيادة او نقيصـة ولا مبثوث في الأقطار والبلدان بتلك الصـفة المحرفة وانما موجود على ما هو عليه الآن, وانه كان موقوفا بأمر النبي ويحفظ ويدرّس ويعرض جميعه على النبي، وان

جماعة من الصـــحابة قد ختموا القرآن على النبي عدة ختمات، وهذا فيه دلالة قاطعة على جمع القران وتوقفيته في هذه المرحلة التي يمكن ان يكون من صفات الكتابة فيها:

1- الحفظ في صدور المؤمنين.

2- أن النبي كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله من آية أو آيات او سورة او سور.

3- أن القرآن لم ينزل على نحو النزول الدفعي الإجمالي بل نزل على نحو النزول التدريجي التفصيلي على مدى سني البعثة النبوية بتفصيل سبق.

4- أن ترتيب سور القران وآياته كان على ترتيب أسباب نزول الآيات فقط دون السور بتفصيل سبق.

5- عدم وقوع الخلاف في الآيات والسور الملقاة على النبي بسبب إحكام النبي وتوقيفه لما يتلقاه من الوحي وكيفية حفظه وكتابته.

6- ان ضوابط وقواعد الرسم والخط لم تكن مرتبة ولا منضبطة وانما كانت اولية بالنحو المتفاهم عليه سابقا.

7- أن وسائل وأدوات الكتابة من نوعية الصحف والأقلام كانت بدائية قديمة مناسبة لذلك العصر.

المرحلة الثانية: الكتابة في الصحف: وهي المرحلة التي دون ورسم وكتب فيها القران الكريم بصحف متعددة في خلافة أبي بكر عندما رفض مصحف أمير المؤمنين عليه السلام فقد كلف زيد بن ثابت وكان من كتاب الوحي اثر حادثة القتل في قرّاء القرآن يوم اليمامة فقام بجمع ما تتبعه من القران من الرقاع واللخاف والأكتاف والعسب وصدور الرجال وكان لا يكتب اية الا بشهادة شاهدين وكان آخر سورة براءة لم توجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت فقال : اكتبوها فإن رسول الله جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب. وان عمر أتى بآية الرجم فلم نكتبها لأنه كان وحده. وبعد أن انتهى قام بتسليم تلك الصحف إلى أبي بكر حتى توفاه الله تعالى، ثم تسلمها عمر حتى توفاه الله تعالى، ثم تسلمتها حفصة بنت عمر التي سألها عثمان بدفعها اليه فأبت أن تدفعها حتى عاهدها ليردنها إليها، فبعثت بها إليه, فنسخها عثمان هذه المصاحف، ثم ردها إليها فلم تزل عندها. ثم في زمان مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التي كتب فيها القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه إياها ، فلمّا توفيت حفصة أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ، ليرسل إليه بتلك الصحف ، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بها مروان فشققت. وقال مروان: إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالصحف فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذا المصحف مرتاب، أو يقول إنه قد كان فيها شيء لم تنكرانه.

المرحلة الثالثة: الكتابة المصحف: وهي المرحلة التي دون ورسم وكتب فيها القران الكريم بمصحف واحد, وفيها أمر عثمان – بعد أن أخذ هذه الفكرة من أمير المؤمنين عليه السلام – زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بنسخ الصحف الكثيرة بمصاحف وردها إلى صحف حفصة بنت عمر ونسخوا أربعة مصاحف وأبقي عنه واحداً منها. وأرسل عثمان الثلاثة للبصرة والكوفة والشام وعين:

–زيد بن ثابت أن يقرأ بالمدني.

– عامر بن قيس أن يقرأ بالبصري.

– أبا عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي أن يقرأ بالكوفي.

– المغيرة إبن شهاب أن يقرأ بالشامي.

وقرأ كل مصر بما في مصحفه.

على ان يراعى في الكتابة في هذه المرحلة صفات:

1– ختام التنزيل القرآني بوفاة النبي عليه واله السلام.

2– توحيد المصاحف المتعددة والمختلفة في البلدان الإسلامية بمصحف واحد صادر من مركز الخلافة الإسلامية.

3– وقوع الخلاف والاختلاف في نسخ السور والآيات بسبب الاختلاف في التلقي عن النبي وتعدد القراءات والتلاوات بتفصيل آت.

4– الاقتصار في كتابة القران على ما ثبت روايته بالخبر المتواتر دون خبر الواحد.

5– إهمال وطرح ما نسخت تلاوته من الآيات القرآنية.

6– ترتيب السور والآيات معا على الوجه المعروف الآن.

7– وضع ضوابط وقواعد للرسم والخط القرآني بتفصيل سبق.

الفصل العاشر

علم القراءات

وفيه جهات ثلاثة:

الجهة الأولى: تعريف علم القراءات:

هو العلم الذي يتكفل البحث في كيفيات أداء كلمات القران الكريم. والقارئ هو الذي روى القراءة مشافهة عن راويها. والمقرئ هو الذي ابتدأ في تعلم القراءة.

ثم إن صـحابة النبي عليه واله السـلام قد اختلف أخذهم لقراءة القران عنه فمنهم من حفظ وأخذ القرآن عنه بحرف واحد, ومنهم من أخذه عنه بحرفين, ومنهم من زاد. ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال المختلفة, فاختلف بسـبب ذلك حفظ وأخذ التابعين عنهم, وأخذ تابع التابعين عن التابعين, وهكذا حتى وصـل الأمر على هذا النحو المختلف إلى الأئمة القراء المشـهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها. وكان أول من صنف في القراءات من أمثال:

1- أبي عبيد القاسم بن سلام توفي سنة 224هـ. وقد ذكر في كتابه:

- مكة: إبن كثير وإبن محيصن وحميد الأعرج.
- المدينة: شيبة ونافع.
- البصرة: أبو عمرو وعيسي بن عمر وعبد الله بن أبي إسحاق.
- الكوفة: يحيي بن وثاب وعاصم والأعمش.
- الشام: عبد الله بن عامر ويحيي بن الحرث.

2- القاضـي إسماعيل بن إسـحاق المالكي صـاحب قالون ألف كتاباً في القراءات وجمع فيه قراءة عشرين قارئاً منهم القراء السبعة المشهورين توفي سنة 282هـ.

3- أبو حاتم السجستاني, وقد صنف كتاباً في القراءات ذكر فيه أكثر من عشرين قارئا.

4- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري توفي سـنة 310هـ. جمع كتاباً كاملاً سماه الجامع فيه أثنان وعشرون قارئا.

5- أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني توفي سنة 320هـ. جمع كتاباً في القراءات فيه عشر قراء.

6- جبير المكي. وقد صنف كتاباً في القراءات فاقتصر علي قراء خمسة.

7- ابن مجاهد أحمد بن موسى بن عباس توفي سنة 324هـ. وقد صنف كتابا حصر فيه القراء بالسبعة وهم:

1- نافع المكي.
2- عاصم الكوفي.
3- حمزة الكوفي.
4- عبد الله بن عامر الشامي.
5- عبد الله بن كثير المكي.
6- أبو عمرو بن العلاء.

7- علي الكسائي.

ولكن حصر ابن مجاهد القراءات بهؤلاء السبعة ليس بحاصر فقد اشتهرت من بعده القراءات العشرة وهم السبعة المتقدمون ويضاف إليهم ثلاثة:

1- أبو جعفر القعقاع.

2- يعقوب بن إسحاق.

3- خلف البزار.

ومن بعد هذا جاء الاشتهار بالقراءات الأربعة عشر وهم العشرة المتقدمون ويضاف إليهم أربعة:

1- الحسن البصري.

2- ابن محيصن.

3- يحيى اليزيدي.

4- الشنبوذي.

الجهة الثانية: حكم القراءات السبعة:

انقسم علماء المسلمين من الفريقين الخاصة والعامة بنيهم في مسألة حكم ما ينبغي الأخذ به من القراءات لقراءة القرآن وبالخصوص في مواضع الإبتلاء كالصلاة على أقوال متعددة, فالمستفاد من عبائرهم أن لهم عشرة أقول:

1- جواز القراءة بكل نحو ورد عن أي قاريء صح اقراؤه من قراء الصدر الأوّل من دون حصر في عدد معين.

2- جواز القراءة بما وافق العربية مطلقاً بأي نحو يصدق معه موافقة أصول اللغة العربية وقواعدها بما لا يغيّر المعنى ولا يعد ضرباً من التحريف.

3- وجوب القراءة بما يتداوله الناس واشتهر عندهم الموافق لقواعد اللغة العربية بملاك صدق عنوان حكم العرف العام عليه وليس بملاك إنطباق حكم الدقة العلمية الخاضعة لقوانين أهل الاقراء واقيستهم الموجبة للعسر والحرج.

4- جواز القراءة بكافة القراءات مع الإحتياط على جهة الإستحباب بالتزام القراءات السبع.

5- حصر القراءات بالسبع المشهورة ولكن اختلفوا في الدليل:

- تواترها وثبوت الأمر بها بحديث نزل القرآن علي سبعة أحرف.

- تواترها من ناحية جوهريتها لما ما يتعلّق بأحكامها الادائية فلا ينبغي العمل بما تضمنته.

- شمول الأمر لها في زمن الغيبة علي جهة التقية.

- ثبوت تواترها مع المنع من كمال العشر.

6- إستحسان بعض القراءات السبع تخصيصاً.

7- حصر القراءة بالسبع وكمال العشر ولكن اختلفوا في الدليل:

- تواترها وثبوتها عن النبي.

- شمول الأمر لها في زمن الغيبة علي جهة التقية.

- تواترها وثبوتها عن النبي الا انه يستثني منها ما ورد عنهم في شأن البسملة.

- شمول الأمر لها في زمن الغيبة علي جهة التقية.

8- وجوب القراءة بالقراءات المدعي تواترها سواء كانت من السبع أم كمال العشر أم الشواذ وان نسبت إلى أحدهم عليهم السلام علي جهة التقية.

9- جواز القراءة بكافة القراءات السبعة المشهورة وما زادت عن العشرة بحكم اقتضاء الضرورة القاضية بالقراءة بوفقها مع المنع من قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف وهي كمال العشر في الصلاة لا خارجها.

10- جواز القراءة بكل ما كان متداولاً في زمن الأئمة عليهم السلام سواء ثبت نقله عنهم عليهم السلام أم عن غيرهم ممن شملهم الإذن بخلاف من منعوا من قراءته.

ثم إن المستفاد من هذه الأقوال أن المسألة خلافية جدا ولكن محل الوفاق هو عدم المنع من القراءة المنقولة عن الأئمة عليهم السلام فيشمل الجواز قراءتهم عليهم السلام كما يعم قراءة غيرهم ولعدم النهي عنها نهي تحريم. كما أن الأدلة الواردة عنهم عليهم السلام بجواز القراءة كما يقرأ الناس يستفاد منها أن تخصيص القراءة بما تداوله الناس في أزمنتهم عليهم السلام حيث إطلاعهم على مدى قربهم من النص المنزل وعلى نوعية قراءتهم ومقدار مطابقتها لأصول اللغة وقواعدها لتنصيصهم على ذلك بدليل الأخبار ومنها:

- قول الإمام الصادق عليه السلام: اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم.

- قول الإمام الرضا عليه السلام: اقرؤا كما تعلمتم فسيجيء من يعلمكم.

الفصل الحادي عشر

علم تلاوة القرآن

وفيه جهات ثلاثة:

الجهة الأولى: تعريف علم تلاوة القرآن:

هو العلم الذي يتكفل البحث في أحكام تلاوة القرآن من حيث مخارج الحروف وصـــفاتها لصـــون اللسان عن الوقوع باللحن في القراءة. فهنا قيود أربعة:

1– تلاوة القرآن: وهي قراءة القران, وتسمى أيضا بالتجويد بمعنى تحسين الصوت فيقال: أحكام التجويد.

2– مخارج الحروف: وهي محل ظهور الحروف بمعنى الصـــوت الذي ينقطع عنده صـــوت النطق به فيتميز به عن غيره.

3– الصفات: وهي الكيفيات العارضة للحروف عند حصولها في مخارجها, كالهمس والجهر والتفخيم والترقيق وغيرها.

4– اللحن: هو الخطأ والميل عن الصواب في القراءة, سواء كان اللحن جليا أي ظاهر مخل بعرف القراءة ام كان اللحن خفيا أي مستتر غير مخل بعرف القراءة وإنما مخل بعرف قواعد هذا الفن.

ثم إن للتلاوة مراتب ثلاثة يجب على القارئ معرفتها وهي:

1. التحقيق: هو القراءة باطمئنان.

2. الحدر : هو الإسراع في القراءة.

3. التدوير : هو القراءة بحالة متوسطة بين الحدر والتحقيق.

ويعم هذه المراتب الثلاثة الترتيل كما قال تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا).

ثم إن مخارج الحروف سبعة عشر مخرجا موزعة عل مخارج ستة وهي:

المخرج الأول : الجوف: أي جوف الحلق والفم وهو الخلاء الداخل في الفم. ويخرج منه مخرج واحد وهو مخرج ثلاثة حروف:

1– الألف الساكنة المفتوح ما قبلها, كقال.

2– الواو الساكنة المضموم ما قبلها, كقولوا.

3– الياء الساكنة المكسور ما قبلها. كقيل.

وتسمى هذه الحروف بتسميات أربعة:

1– الحروف الجوفية: وذلك بسبب خروجها من جوف الحلق على تفصيل ات في المرحلة القادمة.

2– المدية: وذلك بسبب امتداد الصوت بها.

3– الحروف الهوائية: وذلك بســـبب انتشـــار هوائها في الفم حال النطق بها حتى يمر على جميع المخارج على تفصيل ات في المرحلة القادمة.

4– حروف العلة: وذلك بسبب ما يعتريها من القلب والإبدال والإعلال كما تفصيل موكول لعلم الصرف.

المخرج الثاني : الحلق : ويخرج منه ثلاثة مخارج لستة أحرف وهي :

1– أقص الحلق أي أبعده مما يلي الصدر, ويخرج منه حرفان:

– الهمزة.

– الهاء.

2– وسط الحلق, ويخرج منه حرفان:

– العين المهملة.

– الحاء المهملة.

3– أدنى الحلق, أي أقربه مما يلي الفم, ويخرج منه حرفان:

– الغين المعجمة.

– الخاء المعجمة.

المخرج الثالث : اللسان, ويخرج منه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفاً:

1– أقصى اللسان أي أبعده مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك الأعلى, ويخرج منه حرف واحد وهو القاف.

2– أقصى اللسان من أسفل مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى تحت مخرج القاف قليلاً, ويخرج منه حرف واحد وهو الكاف, وهو أقرب إلى مقدم الفم من القاف وأبعد من الحلق.

3– وسط اللسان وما يليه من الحنك الأعلى, ويخرج منه مخرج واحد لثلاثة أحرف وهي:

– الجيم.

– الشين.

– الياء.

4– إحدى حافتي اللسان وما يليها من الأضراس العليا التي في الجانب الأيسر أو الأيمن, ويخرج منها حرف واحد وهو الضاد المعجمة. وخروجها من:

– الحافة اليسرى أكثر وأيسر.

– اليمنى أصعب وأقل.

– الحافتين معاً أقل وأعسر.

5– أدنى حافتي اللسان أي أقربها إلى مقدم الفم بعد مخرج الضاد مع ما يليها من اللثة أي لحمة الأسنان العليا, ويخرج منه حرف واحد وهو اللام, وليس في الحروف أوسع مخرجاً منه. وخروج اللام من:

– الحافة اليسرى أقل وأعسر.

– اليمنى أكثر وأسهل.

– الحافتين معاً عزيز وصعب.

6– طرف اللسان تحت مخرج اللام قليلاً وما يحاذيه من لثة الثنيتين العُلْيَيَيْن, ويخرج منه حرف واحد وهو النون الساكنة المظهرة ولو تنويناً والمدغمة في مثلها وكذلك المتحركة مشددة كانت أو مخففة. فهنا قيدان:

– النون المخفاة فتتحول من طرف اللسان إلى قرب مخرج ما تخفى عنده من الحروف.

– النون المدغمة مطلقاً أي بالغنة أو بغيرها في غير مثلها فتتحول أيضاً من طرف اللسان إلى مخرج ما تدغم فيه نفسه من الحروف.

7– طرف اللسان مع ظهره بالقرب من مخرج النون وما يحاذيه من لثة الثَّنيتَين العُلْيَيَيْن أيضاً, ويخرج منه حرف واحد وهو الراء.

8– طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ويخرج منه ثلاثة أحرف :

– الطاء المهملة.

– الدال المهملة.

– التاء المثناة فوق.

9– طرف اللسان ومن فوق الثنايا السفلى مع إبقاء فرجة قليلة بين طرف اللسان والثنايا عند النطق. ويخرج منه ثلاثة أحرف:

–الصاد.

– الزاي.

– السين.

10– طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا أي رؤسها: ويخرج منه ثلاثة أحرف :

– الظاء المعجمة.

– الذال المعجمة.

– الثاء المثلثة.

المخرج الرابع : الشفتان : ويخرج منهما مخرجان لأربعة أحرف:

1– باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا ويخرج منه الفاء.

2– ما بين الشفتين معاً ويخرج منه ثلاثة أحرف وهو الواو والباء الموحدة والميم لكن بانطباقهما في الميم والباء وانفتاحهما في الواو أو انضمامهما وانطباق الشفتين في الباء أقوى من انطباقهما في الميم ونعنى بالواو هنا الواو غير المدية وهي المتحركة مطلقاً أو الساكنة بعد فتح كخوف. أما الواو المدية

وهي الساكنة بعد ضم كقولوا فتقدم أنها تخرج من جوف الحلق على مذهب الجمهور وعلى غيره من بين الشفتين مع المتحركة والساكنة إثر فتح.

المخرج الخامس: الخيشوم: وهو خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم. ويخرج منه مخرج واحد وهو مخرج صوت الغنة.

الجهة الثانية: صفات الحروف:

صفات الحروف كثيرة ومنها ثلاثون:

1- الهمس: وهو ضعف التصويت بالحرف لضعف الاعتماد عليه في المخرج حتى جرى النفس معه فكان فيه همس أي خفاء. ولذا سمي مهموساً وحروفها عشرة جمعها: (فحثه شخص سكت).

2- الجهر: وهو ضد الهمس بمعنى قوة التصويت بالحرف لقوة الاعتماد عليه في المخرج حتى منع جريان النفس معه فكان فيه جهر أي إعلان وإظهار. ولذا سمي مجهوراً وحروفه تسعة عشر حرفاً وهي الأحرف الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الهمس العشرة السابقة (فحثه شخص سكت).

3- الشدة: وهي لزوم الحرف لموضعه لقوة الاعتماد عليه في المخرج حتى حبس الصوت عن الجريان معه فكان فيه شدة أي قوة. ولذا سمي شديداً وحروفها ثمانية جمعها: (أجد قط بكت).

4- التوسط : وهي أن يكون الحرف بين صفتي الشدة والرخو بحيث يكون عند النطق به ينحبس بعض الصوت معه ويجري بعضه. ولذا سمي متوسطاً. وحروفه خمسة جمعها: (لن عمر).

5- الرخو: وهو ضد الشدة والتوسط بمعنى لزوم الحرف لموضعه لضعف الاعتماد عليه في المخرج حتى جرى معه الصوت فكان فيه رخو أي لين. ولذا سمي رخواً. وحروفه ستة عشر حرفاً وهي الحروف الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الشدة الثمانية المتقدم ذكرها وحروف التوسط الخمسة السابق ذكرها كذلك.

6- الاستعلاء: وهو ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فيرتفع الصوت معه. ولذا سمي مستعلياً وحروفه سبعة جمعها: (خص ضغط قظ).

7- الاستفال: وهو ضد الاستعلاء بمعنى انخفاض اللسان أو انحطاطه عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فينخفض معه الصوت إلى قاع الفم. ولذا سمي مستفلاً وحروفه اثنان وعشرون حرفاً وهي الحروف الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الاستعلاء السبعة المتقدمة.

8- الإطباق: وهو انطباق جملة من اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف وانحصار الصوت بينهما. ولذا سمي مطبقاً. وحروفه أربعة جمعها: (صض طظ).

9- الانتفاح: وهو ضد الإطباق بمعنى انفتاح ما بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف فلا ينحصر الصوت بينهما. ولذا سمي منفتحاً. وحروفه خمسة وعشرون حرفاً وهي الحروف الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الإطباق الأربعة المتقدمة.

10- الذلاقة: وهي الاعتماد عند النطق بالحرف على ذلق اللسان والشفة. وحروفها ستة جمعها: (فِرَّ مِنْ لُبِّ). وسميت بذلك بسبب ذلاقتها أي خفتها وسرعة النطق بحروفها لأن بعضها يخرج من ذلق اللسان أي طرفه وهو الراء واللام والنون وبعضها يخرج من ذلق الشفة وهو الفاء والباء والميم وكما تسمى بالذلاقة تسمى بالحروف المذلقة وبحروف الإذلاق وكلها ألفاظ مترادفة.

11- الإصمات: وهو ضد الذلاقة بمعنى منع حروفه من أن يبنى منها وحدها في كلام العرب كلمة رباعية الأصول أو خماسية لثقلها على اللسان فلابد من أن تكون في الكلمات الرباعية الأصول أو الخماسية حرف من الحروف المذلقة لتعدل خفته ثقل حرف الإصمات ولهذا سميت بالحروف المصمتة. وحروفه ثلاثة وعشرون حرفاً, وهي الحروف الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الذلاقة الستة المتقدمة.

12- الصفير: وهو حدوث صوت زائد يخرج من بين الشفتين يشبه صوت الطائر عند النطق. وحروفه ثلاثة: (الصاد. الزاي. السين) ولذا سميت بحروف الصفير.

13- القلقلة: وهي اضطراب اللسان بالحرف عند النطق به ساكناً حتى يسمع له نبرة قوية. وحروفها خمسة جمعها: (قطب جد). وسميت بذلك لأنها حال سكونها تتقلقل عند خروجها حتى يسمع لها نبرة قوية وذلك لأن من صفاتها الشدة والجهر. فالشدة تمنع الصوت أن يجري معها والجهر يمنع النفس أن يجري معها كذلك. فلما امتنع جريان الصوت والنفس مع حروفها احتيج إلى التكلف في بيانها بإخراجها شبيهة بالمتحرك. وتنقسم القلقلة في غير المتحرك من حروفها الذي فيه أصل القلقلة فقط الى أقسام ثلاثة:

- قلقلة صغيرة : وهي ما كان وجودها في الساكن الموصول كقاف {وَيَقْدِرُ}.

- قلقلة كبيرة : وهي ما كانت في الساكن الموقوف عليه المخفف كدال {السجود}.

- قلقلة أكبر: وهي ما كانت حاصلة في الساكن الموقوف عليه المشدد كقاف {أَشَقُّ}.

14- اللين: وهو خروج الحرف من مخرجه من غير كلفة على اللسان. وله حرفان:

- الواو الساكنة المفتوح ما قبلها.

- الياء الساكنة المفتوح ما قبلها.

وسيمت بذلك بسبب خروجهما بلين وعدم كلفة على اللسان.

15- الانحراف: وهو ميل الحرف بعد خروجه من مخرجه حتى يتصل بمخرج غيره. وله حرفان:

– اللام.

– الراء.

وسمي بذلك بسبب انحرافهما عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما فاللام فيها انحراف إلى طرف اللسان والراء فيها انحراف إلى ظهره وميل قليل إلى جهة اللام ولذلك يجعلها الألثغ لاماً.

16– التكرير: وهو ارتعاد طرف اللسان عند النطق بالحرف. وله حرف واحد وهو الراء. وسمي بذلك بسبب ارتعاد طرف اللسان عند النطق به.

17– التفشي: وهو انتشار الريح في الفم عند النطق بالحرف. وله حرف واحد وهو الشين. وسمي بذلك بسبب انتشار الريح في الفم عند النطق به حتى اتصل بمخرج الظاء المعجمة.

18– الاستطالة: وهي امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها. ولها حرف واحد وهو الضاد المعجمة. وسمي بذلك بسبب استطالته مخرجاً وصوتاً حتى اتصل بمخرج اللام.

19– الاخفاء: هو النطق بالحرف بمرتبة بين الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة. وحروفه خمسة عشر حرفاً: (ص, ذ, ث, ك, ج, ش, ق, س, د, ط, ز, ف, ت, ض, ظ).

20– الغنة: هو صوت له رنين يخرج من الخيشوم . ومقدارها : حركتان, والحركة بمقدار قبض الأصبع أو بسطه.

21– التفخيم: وهو عبارة عن تجسيم وتسمين وتقوية الحرف بجعله في المخرج جسيماً سميناً وفي الصفة قوياً. ويرادف التفخيم التغليظ إلا أن التفخيم غلب استعماله في الراءات والتغليظ غلب استعماله في بعض اللامات.

22– الترقيق: وهو ضد التفخيم والتغليظ بمعنى تنحيف وتضعيف الحرف بجعله في المخرج نحيفاً وفي الصفة ضعيفاً.

23– الإظهار: هو إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر .وحروفه ستة: (أ ـ هـ ـ ع ـ ح ـ غ ـ خ).

24– الإدغام: هو إدخال حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً من جنس الثاني. وحروفه ستة حروف يجمعها لفظ (يرملون).

25– القلب: هو قلب النون الساكنة أو التنوين ميماً مخفاة بغنة عند الباء. وحرفه واحد وهو الباء (ب). نحو: منْ بعد.

26– المد: إطالة زمن الصوت بحرف المد عند ملاقاة سبب من أسباب المد.

27– الوقف: وهو قطع الصوت على آخر الكلمة زمناً يسيراً ليتنفس فيه القارئ مع نِيَّةِ استئناف القراءة. ويكون الوقوف إما على رؤوس الآيات أو في أثنائها..

28- السكت: هو قطع الصوت على حرف ساكن بمقدار حركتين من غير تنفس،مع نِيَّةِ وصل القراءة في الحال.

29-: القطع: هو السكوت في نهاية القراءة بقصد الإنتهاء من القراءة والإنتقال إلى حالة أخرى، وهذا لا يكون إلا في نهاية آية ولكن لابد من القطع على معنى صحيح غير منقوص.

30- الابتداء: هو الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف.

الجهة الثالثة: بعض الأحكام:

وفيها أحكام ثلاثة:

الحكم الأول: النون الساكنة والتنوين :

هنا مصطلحان:

- النون الساكنة: هي النون التي تَثْبُتُ الشفتان عند النطق بها، وسكونها ثابت خطاً ولفظاً ، وصلاً ووقفاً.

- التنوين: فهو نون ساكنة تلحق آخر الاسم وصلاً وتفارقه خطاً ووقفاً.

ولكل من النون الساكنة والتنوين أحكام أربعة:

1- الإظهار الحلقي : هو إخراج الحرف من مَخْرَجِهِ من غير غُنَّة ، وحروف الإظهار ستة هي: (الهمزة ، الهاء ، العين ، الحاء ، الغين ، والخاء) ،وسُمِّيَ بالحلقي لأن مَخْرَج حروفه هو: (الحَلْق). ويُطَبَّق الإظهار إذا جاء بعد حرف النون الساكنة أو التنوين أحد حروف الإظهار،سواء كان ذلك في كلمة واحدة أو في كلمتين. وذلك بإخراج النون الساكنة من مَخْرَجِهَا من غير غُنَّة،كما في مثل:

- مَنْ أعْطَى.

- حِسَاباً عسيرا.

وسبب ذلك: بُعْدُ مَخْرَج النون الساكنة (وهو طرف اللسان) عن مَخْرَجِ هذه الحروف (وهو: الحَلْق).

2- الإدغام : هو دمج حرف النون الساكنة أو التنوين في حروف من حروف الإدغام الستة وهي: (الياء ، الراء ، الميم ، اللام ، الواو ، والنون). ويصير حرف الإدغام مشددا. كما في مثل:

- (مَنْ يَعْمَل) تُقْرَأ: (مَيَّعْمَل).

- (خَيْراً يَرَه) تُقْرَأ: (خَيْرَ يَّرَه).

- (مِنْ لَدُنَّا) تُقْرَأ: (مِلَّدُنَّا)...وهكذا.

3- الإقلاب : هو تحويل النون الساكنة أو التنوين أو نون التوكيد الخفيفة إلى ميم ساكنة لفظاً لا خطاً، مع مراعاة إخفائها عند الباء مع الغُنَّة وعدم التشديد. وللإقلاب حرف واحد هو: (الباء).

ويُطبَّق الإقلاب إذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين باء (سواء اجتمعا في كلمةٍ واحدة أو في كلمتين) وذلك بتحويل النون الساكنة أو التنوين إلى ميم ساكنة، ثم نُخْفِيهَا عند الباء مع غُنَّة قدرها حركتان، مع مراعاة عدم التشديد؛وذلك بجعل فتحة خفيفة بين الشفتين فتتحقق بذلك الغُنَّة ويمتنع التشديد. كما في مثل:

– ذَنب.

– مِنْ بَعْد.

– أَنْبِئُونِي.

4– الإخفاء: هو النُطْقُ بالنون الساكنة والتنوين على صفة بين الإظهار والإدغام،مع مراعاة الغُنَّة وعدم التشديد. وحروف الإخفاء خمسة عشر حرفاً (فكل حرف ليس من حروف الإظهار أو الإدغام أو الإقلاب هو: حرف إخفاء).وسُمِّيَ بالحقيقي لأن النون الساكنة والتنوين تكاد تكون معدومة ولم يَبْقَ منها إلا الغُنَّة. ويُطَبَّق الإخفاء إذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين أحد حروف الإخفاء (سواء اجتمعا في كلمة واحدة أو في كلمتين) وذلك بإخفاء النون الساكنة أو التنوين عند حرف الإخفاء، ونُغِنُّه قدر حركتين.ومثال ذلك:

– أَنْ صَدُّوكُم.

– مِنْ سُوْء.

– خَالِدَاً فِيْهَا.

– ومَنْ ضَلَّ.

ثم للغُنَّة خمسة مراتب حسب قوة وضوحها، وهي:

(1) الغُنَّة الناتجة عن تشديد النون.

(2) الغُنَّة الناتجة عن إدغام النون الساكنة في الواو أو الياء ، وهي أقل وضوحاً من الأولى.

(3) الغُنَّة الناتجة عن إخفاء النون الساكنة عند أحد حروف الإخفاء أو الإقلاب.

(4) الغُنَّة على النون الساكنة والميم الساكنة في حالة إظهارهما.

(5) الغُنَّة على النون المتحركة والميم المتحركة.

والغُنَّة في الثلاثة مراتب الأولى لها مدة زمنية تقدر بحركتين ، أما في الإثنتين الأخيرتين ففيهما أصل الغُنَّة وهذه لها مدة زمنية لا تزيد عن حركة واحدة.

الحكم الثاني: الميم الساكنة :

الميم الساكنة هي الميم التي لا حركة لها. وللميم الساكنة أحكام ثلاثة:

1- الإخفاء الشـــفوي: وحرفه الباء (ب). وقاعدته أن تقع الباء بعد الميم الســـاكنة فتخفى الميم وتصـــحبه الغنة بمقدار حركتين. ويســـمى هذا الإخفاء إخفاءً شـــفوياً بســـبب خروج الميم والباء من الشفتين.

2- إدغام مثلين صغير: وحرفه الميم القاعدة. وقاعدته ان تقع ميم بعد الميم الساكنة فيجب إدغام الميم الساكنة في الميم التي تليها بحيث تصيران ميماً واحدة مشددة ويلزم الإتيان بكمال التشديد وإظهار الغنة.

3- الإظهار الشـــفوي: وحروف هذا الظهار هي كل حروف الهجاء عدا الميم والباء. وقاعدته أن يقع بعد الميم الســـاكنة أي حرف من حروف الهجاء ماعدا الباء والميم فيجب إظهار الميم الســـاكنة عند القراءة. ويسمى هذا الإظهار إظهاراً شفوياً بسبب خروج الميم من الشفتين.

الحكم الثالث: أحكام أل التعريف:

هي لام ســـاكنة زائدة عن بُنْيَةِ الكلمة تتقدَّمُهَا همزة وصـــل تُفْتَح عند الإبتداء بها ويليها إســـم ، وبعضها يمكن حذفها ،كما في:

- العَلِيْم.

- السَّمِيع.

بينما بعضها الآخر لا يمكن حذفها ، كما في مثل:

- الله.

- الَّذِي.

- الَّتِي.

وهي لها حكمان من حيث الاظهار والادغام:

(1) الإظهار القمري: وذلك إذا جاء بعدها أحد الحروف القمرية ، وعددها أربعة عشـــر حرفاً مجموعة في قوله: (ابغ حجك وخف عقيمه) وهي:

(الألف ، الباء ، الغين ، الحاء ، الجيم ، الكاف ، الواو ، الخاء ، الفاء ، العين ، القاف ، الياء ، الميم، والهاء). ومن أمثلتها:

-الأَنْهَار.

- الغَفُور.

- الخَيْرُ.

(2) الإدغام الشمسي: وذلك إذا جاء بعدها أحد الحروف الشمسية ، وهي باقي الحروف الأربعة عشر. ومن أمثلتها:

–الصَّلاة.

– النَّار.

– الشَّاكِرِ.